

آذار ونيسان ١٩٤٢ ربيع الأول وربيع الآخر ١٣٦١

الشاميون والتاريخ (١)

كان من اهم العوامل في ولوع العرب بالتاريخ منذ كان الاسلام حرصهم على الانتفاع بالصحيح من احاديث رسول الله ﷺ وكلما كثر الوضاعون والكذابون والضعفاء من ادعياء الحديث زاد العلماء عناية بالرجال ، متوخين في التعريف بهم الطرق التي ابتكروها في معرفة صحيح الحديث من سقيمه والمبالغة في جرحه وتعديله . قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ ، وقال حسان ابن زيد لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ . ورأينا المؤرخين في القرون الثلاثة الاولى من البعثة يجرون في نقل الاخبار والآثار على طريقة المحدثين بالسند والرواية المتقنة ، بحيث يتيسر لطالب التاريخ ان يعرف من الاطلاع على رواته مبلغه من الضعف والقوة ، وقلما كان المؤرخون يتفلسفون في التاريخ السياسي وتراجم الرجال

واتفق ان نزل في الشام منذ الفتح اناس من كبار الصحابة وحلوا في حواضرها ونشروا حديث الرسول بين اهلها ، وتميز رواة الشاميين بفرط العناية بخدمة فنهم وعلمهم وعلو اسنادهم ، فكان من ذلك بعد القرن الثاني ان نبغ مؤرخون عظام كانوا اوفر عدداً ممن نبغ من أمثالهم في الأقطار العربية الأخرى . فاذا قلنا ان الشام اخرجت محدثين ومؤرخين وشعراء مجيدين اكثر عدداً وأعظم أثراً ممن ظهروا في الأقطار الاخرى لا نكون الى الغلو . ولذلك كان طلاب الحديث يقصدون رواة

(١) القاها الاستاذ محمد كرد علي في راديو فلسطين بالقدس يوم السبت ٦ رمضان ١٣٦٠ (ايلول ١٩٤١)

الشاميين من الأقطار البعيدة ليأخذوا عنهم ما يهمهم ويصلوا سندهم بسندهم كما يقصد اليوم طلاب الراحة والنزهة جبال الشام ليصطافوا ويتمتعوا ٠

يعد أول من دوّن التاريخ في الشام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان (رض) فانه استدعى من اليمن أيام خلافته عَبيد بن شَرْية الجرهمي ليحدثه بأحاديث العرب وأيامها وأمر ان يكتب عنه كل ما يقول كما أتى بأمد بن أبد الحضرمي من اليمن أيضًا يقص عليه أخبار ملوك العرب والعجم ، فكان ذلك أول تدوين للتاريخ في الاسلام بالشام ٠ وقد أخذ عن عبيد كثيرون ومنهم علاقة بن عبد الكريم الكلابي من بني عامر بن كلاب أيام يزيد بن معاوية (رض) وعَبيد هذا أحد من أخذت عنهم المآثر ، وحدث الناس بالمناقب ، على المثال الذي جرى عليه القصاص في التذكير بالمغازي والفتوح منذ جاء العرب فاتحين ، فكان في الجيوش القصاص يقصون على المحاربين في ساحات الوغى وفي المساجد والجوامع أحاديث من شأنها تقوية القلوب وجمعها على الطاعة للخليفة وآله ورجاله ٠

كان بعض ما يروى يدوّن في الأسفار منذ القرن الأول وفي القرن الثاني اشتدت العناية بالتدوين كثيراً ٠ وممن أثر عنهم انهم كتبوا في التاريخ عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي البيروتي (المتوفى سنة ١٥٧) نقلت عنه رسائل سياسية وغيرها وكان مع فقهه وانتشار مذهبه في الأقطار يعدّ كاتبًا لا يجارى ٠ وما بقي في الكتب من كلامه يدل على عقل راسخ ومعرفة بطبائع الامة والدول ، ويشهد له ببعد النظر في السياسة ٠ واشتهر في هذا القرن الوليد بن مسلم الأُموي (١٩٤) عالم أهل دمشق صنف التصانيف والتواريخ ٠ قال الذهبي وعني بهذا الشأن أتم عناية وكان بارعًا في حفظ المغازي كما اشتهر مكحول عالم أهل الشام واسمه ابو عبد الله ابن مسلم الهذلي (١١٣) ٠

ولم يصلنا من أخبار أصحاب هذا الشأن سوى أخبار بعض من اشتهروا لقربهم من السلطان ، وقربهم منه يهيئ لهم سبيل الوقوف على الحقائق ٠ ونبغ في القرن

الثالث محمد بن عائذ صاحب المغازي والفتوح والصوائف (٢٣٣) او (٢٣٤) وكان ولي خراج الغوطة في أيام المأمون والغالب ان كتاب الملوك وأخبار الأمم والمغازى من تأليفه وكذلك محمود بن سميع (٢٥٩) صاحب الطبقات . واشتهر ابو مسهر عبدالاعلى الغساني الدمشقي بمعرفة أيام الناس وأنساب الشاميين (٢١٨) وكان راوية لسعيد بن عبد العزيز التنوخي وغيره من أهل الشام .

وولد في الرقة محمد بن عبد الله بن أحمد ونشأ في مصر ومن كتبه التاريخ على السنين وتاريخ الصحابة . وقام حافظ الرقة علي بن سعيد القشيري الحراني (٣٧٧) وله تاريخ الرقة ، وجاء غيره ولكن لم تصلنا أسماؤهم . وفي القرن الرابع قام الحافظ شمس الدين ابو الحجاج يوسف الدمشقي (٣٥٤) وله تاريخ وجاء في هذا القرن المطهر بن طاهر المقدسي صاحب البدء والتاريخ المطبوع ، ومحبوب بن قسطنطين المنبجي وله كتاب في التاريخ ومحمد بن احمد بن أبي بكر البناء المقدسي (بعد سنة ٣٧٥) الجغرافي الرحالة صاحب أحسن التقاسيم جاء كتابه في التاريخ والجغرافيا .

ومعظم ما كتبه أهل القرون الأربعة الاولى دخل في الكتب التي وضعها المؤرخون في القرون التالية على ما نرى ذلك ظاهراً في تاريخ دمشق لابن عساكر وغيره من الكتب المبسوطة ، يروونها عنهم ويعتمدون على رواياتهم .

ومن مؤرخي القرن الخامس ابو الخير مبارك بن شرارة الطبيب الكاتب الحلبي النصراني كان له جرائد مشهورة بحلب عند أهلها يحفظونها لأجل الخراج المستقر على الضياع وله تاريخ حلب توفي في حدود سنة ٤٩٠ وقام ابو غالب همام بن الفضل بن المهذب صاحب التاريخ المشهور وهو من تلامذة ابي العلاء المعري .

ومفخرة مؤرخي الشام في القرن السادس الحافظ ابن عساكر (٥٧١) فانه وضع تاريخ دمشق في ثماني مائة جزء تدخل في ثمانين مجلدة وذيل عليه ولده القاسم ولم يكمل ، وذيل عليه صدر الدين البكري وعمر بن الحاجب . ومن هذا القرن بدأت العادة بأن يذيل الخلف على ما وضعه السلف من التواريخ . ولتاريخ ابن عساكر

مختصرات منها ما اختصره ابو شامة الدمشقي (٦٦٥) وهو مختصران صغير و كبير ، وذيل عليه الحافظ علم الدين البرزالي (٧٣٨) وذيل عليه حمزة بن أسد ابو يعلى بن القلانسي وتاريخه مطبوع . ومن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضي جمال الدين محمد بن مكرم صاحب لسان العرب (٧١١) والذهبي والعيني (٨٥٥) وانتقى منه السيوطي وغيره .

وهكذا الحال في تاريخ حلب فان كمال الدين ابن العديم (٦٦٠) اول من كتب في تاريخ حلب بعد مبارك بن شرارة قال اليونيني في الذيل انه يكون بياضه في اربعين مجلداً ثم ذيله الجبريني الشهير بابن خطيب الناصرية (٨٤٣) وسماه الدر المنتخب وذيل عليه الحافظ ابن حجر (٨٣٦) ثم ذيله ابو ذر الشهير بسبط ابن العجمي (٨٨٤) وسماه كنوز الذهب وهو ذيل المنتخب والذيل على كنوز الذهب المسمى بدر الحبب لابن الحنبلي (٩٧١) ولابن حبيب الحلبي (٨٠٨) تاريخ منتزع من تاريخ ابن العديم سماه حضرة الندم من تاريخ ابن العديم ، ومن تواريخ حلب معادن الذهب لابن ابي طي يحيى بن حميدة (٦٣٠) وله طبقات العلماء وشعراء الشيعة ، ومعادن الذهب في الأعيان الذين تشرفت بهم حلب لابن عمر العرضي ، ومن تواريخ حلب كتاب ابي عبد الله محمد بن علي العظيمي ، وأخبار الدول لبدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبي (٧٧٩) .

وفي القرن السادس كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (٥٩٦) تاريخه مرتباً له على السنين وهو من المفقود ، وفيه قام محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧) صاحب التصانيف والتعاليق . والعماد الكاتب صاحب الفتح القدسي والخريدة . وابن شداد صاحب سيرة صلاح الدين .

وكثر في القرن السابع عدد المؤرخين فقام فيه عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ثم الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٨) وكتب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وذيل هو عليه وذيل عليه بعده الحافظ البرزالي سماه المقتفي وذيل عليه ابو بكر بن قاضي شهبة وكل هذه الذيول في مجلدات . وقام في القرن

السابع أيضاً ابن ابي أصيبعة الدمشقي (٦٦٨) فكتب طبقات الأطباء وقام في حلب ابن القفطي (٦٤٦) فكتب أخبار الحكماء وقام في طرابلس ابو الفرج بن العبري (٦٨٥) صاحب مختصر الدول ، ولابن عنين الشاعر (٦٣٠) تاريخ العزيزي . وجاء فيه ابن منقذ صاحب كتاب الاعتبار ويعد في الشاميين ايضاً ياقوت الحموي (٦٢٦) صاحب المعجمين (معجم البلدان ومعجم الادباء) وغيرهما لأنه نشأ في الشام ومات فيه ونبغ في هذا القرن جمال الدين بن واصل الحموي (٦٩٧) وله كتاب مفرج الكروب في دولة بني ايوب ، ولأحمد بن ابراهيم الحنبلي كتاب اسمه شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، ومن المؤرخين فيه شهاب الدين بن أبي الدم الحموي له التاريخ المظفري في الملة الاسلامية وقع في ستة مجلدات . والحافظ النووي وله طبقات الشافعية وتهذيب الاسماء واللغات .

ومن أقدر رجال التاريخ في هذا القرن ابن خلكان (احمد بن محمد بن ابراهيم) (٦٨١) صاحب وفيات الأعيان وكتابه من الكتب المنقحة الخالدة لا يستغني عنه باحث .

* * *

كان القرن الثامن من أبرك العصور على التاريخ في الشام قام فيه جلة المؤرخين الذين لا يستغني اليوم أحد عما خطته أناملهم ودونته في الصحف ، منهم الحافظ الذهبي (٧٤٨) صاحب تاريخ الاسلام وقد جاء في اكثر من عشرين مجلداً وسير النبلاء وهو في بضعة مجلدات ودول الاسلام والمشتبه والعبر وقضاة دمشق وطبقات القراء وله ذيل على كل منها . وذيل على العبر ابن شهبة في ست مجلدات كبار وقام فيه علم الدين البرزالي (٧٤٠) وعماد الدين بن كثير (٧٧٤) ، وجمع أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم بين رجال الحديث والحوادث فتقيل أثره ابوشامة في الروضتين والذيل عليه والبرزالي في الذيل والذهبي ، وعماد الدين بن كثير في البداية والنهاية قالوا وقد صار الاعتماد بعدهم في مصر والشام في نقل التواريخ عن هؤلاء الحفاظ الثلاثة البرزالي والذهبي وابن كثير .

وقام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨) الدمشقي ، وقل أن كتب لأحد مثله من الأعلام استخراج عبر التاريخ اللهم الا أن يكون ابن حزم الأندلسي فان كتبهما تنم عما رزقا من معرفة ثاقبة في التاريخ الديني والمدني . أما ابن خلدون فصاحب الشأن الاول في فلسفة التاريخ .

وفي هذا القرن كان محمد بن محمود بن اسحق القدسي (٧٧٦) صاحب تاريخ القدس ، وتواريخ القدس التي كتبت بأيدي المقادسة في عصور مختلفة كثيرة منها اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى وانس الجليل بتاريخ القدس والخليل والجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى ، وباعث النفوس الى زيارة القدس المحروس ، وفضائل بيت المقدس ، وفتوح بيت المقدس ، ومثير الغرام الى زيارة القدس والشام . وللملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب صاحب حماة المضمار في التاريخ وله طبقات الشعراء . وقام في هذا القرن احمد بن فضل الله العمري الدمشقي (٧٤٩) صاحب مسالك الابصار والتعريف بالمصطلح الشريف ، وهو آية من آيات الله في السياسة والتاريخ والادب وكثرة العلم . ونبغ الصلاح الصفدي (خليل بن ايبك) (٧٦٤) صاحب الوافي بالوفيات وفيه خمسة عشر الف ترجمة وقد جود فيه من وراء الغاية ، وله مقدمة لا يكاد يعرف لمؤرخ ما يدانيها كما انه وضع كتاب نكت الهميان وجود في مقدمته ما شاءت له الاجادة الى غير ذلك من تآليفه .

ونبغ أيضاً الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة (٧٣٢) مؤلف التاريخ المعروف ومحمد الاكمل بن مفلح (٧٦٤) ومحمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤) صاحب الذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان سماه فوات الوفيات وله كتاب عيون التواريخ . وقام أيضاً عمر بن الوردي (٧٤٩) او (٧٥٠) وقام ابن ابي العشائر (٧٨٩) والف تاريخ قنسرين وكانت قنسرين مثل كفرطاب والمعرة مثابة علم وادب كما كانت طرابلس على عهد بني عمار ، وحلب أيام سيف الدولة بن حمدان .

وجاء القرن التاسع فقويت ملكة المسخ والنسخ والسلخ في المؤرخين ، ومع ذلك لم يخل هذا القرن والقرن الذي بعده من محققين اتقنوا فنهم ، وعملوا له بعيدين في الجملة عن مؤثرات الامراء والملوك ، ومنهم ابو بكر احمد بن قاضي شهبة صاحب الطبقات وغيره (٨٥١) والحافظ احمد بن علاء الدين حجي الحسباني الدمشقي صاحب كتاب الدارس في أخبار المدارس ، ولعله الأصل لكتاب النعيمي في الدارس وله ذيل على تاريخ ابن كثير . وقام ابن الجزري (٨٣٣) فكتب طبقات القراء ، واحمد بن عربشاه ، فوضع عجائب المقدور في أخبار تيمور وكتب ابراهيم البقاعي في الرجال . والخليل بن جمال الدين الدمشقي عدة مصنفات في التاريخ (٨١٥) ومحمود العيني (٨٥٥) له عدة مصنفات في هذا الفن ، واحمد المقدمي المشهور بابن زوجة ابي عذيبة (٨٥٦) صاحب تاريخ دول الاعيان ، واحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢) صاحب الدرر الكامنة وانباء الغمر في ابناء العمر وعلاء الدين بن خطيب الناصرية الحلبي (٨٤٣) وزين الدين بن الشحنة الحلبي (٨٢٥) ومحمود بن الشحنة (٨٩٠) صاحب الدر المنتخب في تاريخ حلب . وصالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (اواسط التاسع) .

وجاء القرن العاشر فنبغ في دمشق يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩) وهذا على كثرة تآليفه عانى ناحية مهمة من التاريخ وهي تاريخ العمران ، فكتب في الجوامع والمساجد والحمامات والخانات وغيرها ، وجاء يطرس على أثره عبد القادر النعيمي (٩٢٧) الف في تاريخ مدارس دمشق واختصر عبد الباسط العلموي بعض كتبه وزاد عليها ، وجاء ابن سكيكر الدمشقي (٩٨٧) وله كتاب زبدة الآثار فيما وقع لجامعه في الاقامة والاسفار وجاء محمد بن يوسف الباعوني ومؤلفاته اراجيز تاريخية كمؤلفات عمه . ونشأ بدر الدين الغزي المؤرخ (٩٨٤) في دمشق وعبد الرحمن ابن فرفور الدمشقي (٩٩٢) ورضي الدين الحنبلي (٩٧١) صاحب تاريخ حلب ، ومن أعظم مؤرخي دمشق في هذه الحقبة ابن طولون الصالحي (٩٥٣) كتب كتاباً

سماه ذيل التمتع بالاقران وذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وغيرهما كثير في الخطط والآثار والتاريخ على اختلاف ضروبه . وجاء حمزة بن احمد الفقيه العاليهي (نسبة لعاليه) المعروف بابن سباط (٩٢٦) وكتب تاريخاً في الرجال

وختم هذا القرن بالمؤرخ شرف الدين موسى بن يوسف بن ايوب الدمشقي (١٠٠٠) القاضي وله تاريخ في مجلد وتذكرة في مجلدين وغير ذلك .

وما خلا القرن الحادي عشر من مؤرخين محققين في الجملة منهم النجم محمد الغزي (١٠٦١) صاحب الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة وذيله واحمد بن سنان القرماني (١٠١٩) صاحب آثار الدول وعبد الكريم الطاراني (١٠٤١) والحسن البوريني (١٠٢٤) له تراجم الأعيان في ابناء الزمان واحمد الصفوري (١٠٤٣) وابن العماد (عبد الحي) (١٠٨١) صاحب شذرات الذهب المطبوع . ونور الدين بن برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية (١٠٤٤) وتقي الدين التميمي (١٠١٠) صاحب تراجم الحنفية ، واحمد بن محمد الخالدي الصفدي صاحب تاريخ الأمير فخر الدين بن معن .

وظهر في القرن الثاني عشر محمد امين المحبي (١١١١) صاحب خلاصة الاثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر والدويهي صاحب تاريخ الطائفة المارونية (١٠١٦) ومحمد الغزي المؤرخ النسابة (١١٧٦) وعبد الله البصروي (١١٧٠) ومحمد بن عيسى بن كنان (١١٥٣) ومكاريوس الحلبي صاحب الرحلة الى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا . وابو المواهب بن ميرو الحابي (المتوفى قبل المئتين بعد الألف) وابن شاشة (بعد سنة احدى عشرة ومائة وألف) .

وفي القرن الثالث عشر كان المرادي صاحب سلك الدرر (١٢٣٢) والشدياق (١٢٧٦) صاحب أخبار الأعيان في جبل لبنان ومشاقة والامير حيدر احمد الشهابي (١٢٥١) وكمال الدين الصمادي (١٢٠٩) وكمال الدين الغزي صاحب التذكرة الكمالية (١٢١٤) ونقولا الترك صاحب تاريخ حملة الفرنسيين على مصر والشام ومحمد ارسلان صاحب التاريخ .

وفي القرن الرابع عشر الأخير قام مؤرخون مختلفة جدا درجات معارفهم ومذاهبهم منهم فاندبك وبورتر ولامنس من الغربيين المقيمين في الشام ومنهم أناس من اللبنانيين والدمشقيين والحلبيين والفلسطينيين كرفيق العظم ورشيد الدحداح ويوسف الدبس ونوفل نعمة نوفل وبطرس البستاني واسكندر ابكاريوس وسليم شحادة والجزائري وجرجي زيدان وشيخو والبرغوثي وطوطح والغزي والطباخ ومخلص والصابوني وبني والبيطار والقاسمي والبحري ومعلوف وشقير والزين وألوف وغيرهم .

سيداتي سادتي !

ربما لاحظتم من مجرى هذا الحديث ان معظم من نشأوا من المؤرخين في الاسلام كانوا من أبناء دمشق وممن سكنوا دمشق ، والسبب في ذلك ان مادة التاريخ ، الناس والجماعات والحكومات والمواصلات ، وهذه الامور لا تكون في غير العواصم ، وعاصمة الديار الشامية (دمشق) واذا قلنا الشام فهي البلاد الواقعة بين العريش او رفح ونهر الفرات وشبه جزيرة العرب من الجنوب وهذا مصطلح للعرب ساروا عليه منذ حلت ركابهم في هذا الوطن العزيز .

الاوهام العائِرة

(ا)

١ — تصدير

الأوهام العائرة هي من قولهم : عارت القصيدة اي سارت بين الناس . والقصيدة هنا للتمثيل والتنظير ، لا للتقييد ولا للحصر . — فالأوهام العائرة هي السائرة بين الناس ، ولا سيما بين حملة اليراع ، وأرباب الصحف والكتب والمجلات .

وقد ألف كثيرون في هذا الموضوع منذ صدر الاسلام ، بل منذ نأنأته الى هذا العهد . وسوف يكتب بعدنا جماعات في نفس هذا البحث الى ان تقوم الساعة . وآخر من أحسن تثقيف مثل هذا الأود اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي . ثم جاء بعده من عُني بطبع نقداته في كراسة قائمة برأسها فعم نفعها ؛ ثم جاء آخر فاختصر عبارتها وزاد عليها من عنده ، فكانت أقواله في بعض المواطن من تلك الكراسة كالرقعة البالية في الثوب الجديد ، وخبط فيها خبط عشواء ، بل خبطاً شنيعاً مدعياً ادعاءاتٍ فارغةً تضحك الثكلى ، وتبكي الفرحى ، وسماها (مغالط الكتاب ومناهج الصواب) ثم ظهر بعد الاستاذ اليازجي كثيرون من الادباء وانتحلوا نقداته غير خجلين من هذه السرقة الدنيئة ، ونشروها بأسمائهم في طائفة من الجرائد والتآليف وهم أصلف من جوزتين في غرارة .

ونحن ان كنا نعود الى هذا البحث ، فلأننا نريد ان ننبه هنا بعض من يهمهم الأمر على عُقَد وعُجَر وبُجَر لم يذكرها احد قبلنا . فنقول :

٢ — الملاحظات لا الملحوظات

كنا نقرأ في كتب الادب قولهم : « فلان يلاحظ كذا وكذا في ما يقف عليه مثلاً . وله ملاحظات كثيرة على ما جاء في الكتاب الفلاني » . — والآن نقرأ في صحف وكتب جمة قول بعضهم : « فلان يلحظ كذا وكذا في ما يقف

عليه نظره ، وله ملحوظات كثيرة على ماجاء في الكتاب الفلاني » — ونحن لم نعثر على مثل هذا الاستعمال لهذا الفعل عند حذّاق الكتاب وبصراء المؤلفين . والذي ألفناه من استعمالهم انهم يقولون لاحظ و لاحظة ولم نُلفِ من جرى مجرى آخر ، مع ان نقل معنى لحظَ الحقيقي الى المعنى المجازي غير محظورٍ . قال في الكليات : « النظر ملاحظة المعلومات الواقعة في ضمن تلك الحركة » (ص٥٠٥ من طبعة الاستانة) . وقال ابن جني : « ولو لاحظت اول احوالها لكانت قلقلت ... (الخصائص ج ٢ : ٢٥٤) .

٣ — المائة لا القرن ولا الطبق

كنا نستعمل (القرن) بمعنى المائة سنةٍ ، ائتماماً بكثير من كتاب العصر . وقد لاحظنا قبل نحو من سنة او اكثر ، ان استعمال القرن بمعنى المائة سنة غير وارد في كلام فصحائنا الاقدمين ، فهو من أوضاع مولّدينا المتأخرين . أما لغويونا فقد شرحوا القرن بقولهم : « القرن : زمن معين ، او اهل زمن مخصوص . واختار بعض انه حقيقة فيهما . واختلف هل هو من الاقتران ، اي الأمة المقترنة في مدة من الزمان ، من قرن الجيل ، لارتفاع سنهم ، او غير ذلك . واختلفوا في مدة القرن ، وتحديدها ، فقيل : أربعون سنة ، عن ابن الاعرابي ودليله قول الجعدي :

ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستآ سا

فانه قال هذا وهو ابن مائة وعشرين ، او عشرة [1] ، او عشرون ، او ثلاثون ، او خمسون ، او ستون ، او سبعون ، او ثمانون . نقلها الزجاج في تفسير قوله تعالى : الم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون . والأخير نقله ابن الاعرابي أيضاً . وقالوا : هذا مقدار المتوسط من أعمار اهل الزمان ، او مائة ، او مائة وعشرون . وفي فتح الباري : اختلفوا في تحديد مدة القرن من عشرة [1] الى مائة وعشرين ؛ لكن لم أرَ من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة [1] وما عدا ذلك فقد قال به قائل .

(١) كذا في الاصل ، ولعل الصواب [أو عشر] لأن المقدر [سنوات] وهي مؤنثة .

والاول من القولين الأخيرين اصح · وقال ثعلب : هو الاختيار لقوله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، لغلام بعد ان مسح راسهُ : عِش قرناً ، فعاش مائة سنة · وعبارة المصنف مُوهمة لأن أول الأقوال التي ذكرها هو اربعون سنة · فتأمل · وبالاخير فسر حديث ان الله يبعث على رأس كل قرن لهذه الامة ، من يجدّد أمر دينها ، كما حققه الوليّ الحافظ السيوطي ، رحمه الله تعالى · وقيل : القرن : كل أمة هلكت فلم يبق منها احد ، وبه فسرت الآية المذكورة · وقيل : الوقت من الزمان ، عن ابن الاعرابي » اه بحروفه عن التاج ·

ولما كان الشك قد طرق معنى القرن ، كان الاقدمون يقولون في مكانه المائة ، من باب الاطلاق · ومنه كلام المؤرخين : جرى هذا الحادث في المائة الاولى ، أو الثانية ، أو الثالثة للهجرة ؛ ولم يقولوا القرن الاول ، أو الثاني ، أو الثالث · ومنه أسماء بعض الكتب : كالدرر الرائعة في شعراء المائة الرابعة ، والدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة ، والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لابن الفوطي ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، والكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين الغزي العامري الدمشقي · الى مالا يحصى عدده · وقال المولّدون مستعملين القرن لمائة سنة : انسان العيون في مشاهير سادس القرون [1] · والضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، والنور السافر في أخبار القرن العاشر ، وخلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر وغيرها ·

والذي يظهر لنا ان القرون جمع قرن معرب من اليونانية قرونس *Khronos,ou* أي الزمان ، أو الوقت من الزمان · ولما عرّبوا القرون توهموا ان مفردها (قَرْن) لأن اغلب الجموع الواردة على فُعول يكون مفردها فعلاً بالفتح ·

ومن الكتاب من حاول ان يقول في مكان القرن : الطبَق وذلك لأنه قرأ في كتب اللغة : الطبق ، كسبب ، ·· القرن من الزمان ، او عشرون

(١) نظن أن هذا العنوان من وضع بعض المتأخرين ترويجاً للكتاب ·

سنة ، (القاموس) . لكن الطبق أيضاً معرب من اليونانية ابق *Épokhé* بهذا المعنى عينه . بيد انهُ كيف (ابق) صارت (طبق) ، اي كيف حوّلت الهمزة الى طاء ، ذلك من أسرار اللغة العربية . فقد كان قوم من الناطقين بالضاد يجعلون الطاء في مكان الهمزة ، فقد قالوا : أرّ الدابة أي ساقها ، وأفر الظبي بمعنى وثب ، وأَفلتِ الشمسُ بمعنى غابت ، وألّ الابل اي ساقها ، وألاَ يألو أي قصر وابطأ . وكان آخرون يقولون بالطاء اي : طرّ الدابة ، وطفر الظبي ، وطفلت الشمس ، وطلّ الابل ، وطلا يطلو . إذن فالأَبَق والطبق من هذا القبيل .

٤ — فلان بن فلان لا فلانُ فلانٍ

يقول المعاصرون مثلاً : محمد حسن حيدر ، وهم يريدون محمد بن حسن بن حيدر . وذاك لا يجوز في لغتنا ، لأن السلف الخلص في نسبهم والفصحاء في لسانهم لم يقولوه البتة ؛ لأن الاسم المضاف عندهم دون المضاف اليهِ شرفاً وقدراً . فقولهم كتاب الملك مثلاً ، يدل على ان الكتاب دون الملك قدراً وشرفاً . وكذلك بيت الملك ونحو ذلك . وأما الابن في نظرهم ونظر كل عاقل فهو بضعة من أبيه ، فهو في درجة القدر والشرف مساوٍ لأبيه دون أدنى فرق . ولهذا قال الأقدمون : محمد بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب . ولم يضيفوا أسماءهم الى آبائهم . اما اذا اشتهر الرجل بلقبٍ ، ذكروا اسمه واردفوه بلقبه ، فقالوا مثلاً : عامر ماء السماء ، والمنذر المغرور ، والنعمان الاكبر . او كنوه بالكنية التي اشتهر بها فقالوا : ابو يعفر علقمة ، وابو طالب شيخ الاباطح ، وابو بكر الصديق . وان لم يعرف الاب واشتهرت امهُ نسبوه الى امهِ فقالوا مثلاً : عيسى بن مريم او ابن مريم ، وابن الحنفية[1] ، وابن القوطية ، وابن حنزابة ، الى غيرهم .

أما اضافة أهل هذا العصر اسماءهم الى اسماء آبائهم ، فناشئ من اتصالهم بالترك العثمانيين وذلك ان مشاهير الترك كانوا في الغالب من المماليك ، أُخذوا صغاراً ،

(١) [المجمع] لعل الاب المحترم واهم في ما قال لأن أبا ابن الحنفية أشهر من ان يعرّف وانما نسب الى امه ليتميز من أخوانه من ابناء فاطمة عليها السلام وربما كان غيره ممن ذكرهم كذلك .

ولم تُعرف آباؤهم ، فنسبوا الى مالكيهم ، ثم صاروا وزراء او باشوات . فقالوا سليمان باشا عتيق أحمد باشا ، وعليّ آغا مملوك أحمد باشا ، وعبد الله الخزبندار ، مملوك سليمان باشا الكبير ، الى نظائرهم . ثم تركوا هذه التسمية الطويلة المملة ، واقتصروا على ذكر اسم الشخص نفسه مَرْدُوفاً بلقب شرف ، فقالوا : حسن افندي ، وعمر بك ، وداود باشا ، وهذا هو الاكثر والأشهر ، لا سيما في الايام الاخيرة .

وأما الافرنج ، على اختلاف قومياتهم وعناصرهم ، فانهم يعدّون الأولاد أغصاناً لِدَوْحةِ نسبهم ، فيقولون : سلفستر دساسي *Sylvestre de sacy* وكوسن دي پرسفال *Caussin de perceval* وجورج ولهلم فريتغ *G. W. Freytag* وغستاف فلوغل *G. Flügel* ور. دوزي *R. dozy* وادورد لين *Ed. lane* ، الى غيرهم وليس في هذه الأسماء اضافة البتة .

٥ — الدهن لا الزيت

العرب لم تسمِّ (زيتاً) إلا دهن الزيتون . وسمّوا دُهنَ بِزْرِ الكتان (زيتاً حارّاً) وما عدا ذلك لم يقولوا مثلاً زيت الحجر ، ولا زيت البترول ، بل اطلقوا الدهن على كل مادة جمادية ، او نباتية ، او حيوانية . فمن الأول نقل ابن البيطار البتروليون (أي البترول) الى دهن الحجر . ومن الثاني قول الاطباء وعلماء النبات واللغويين : دهن البان ، ودهن الخردل ، ودهن الزنبق ، ودهن الخروع ، الى مالا يحصى عدّهُ . ومن الثالث قول اللغويين : « تخرّط الطائر : اخذ الدهن من مدهنه بزِمِكّاه » فقول أصحاب الجرائد : الزيت بمعنى النفط ، او الدهن ، خطأ صريح لا شبهة فيه . فالدهن يقابل الفرنسية *Huile* ، والزيت *Huile D'olive* ، والنفط ودهن الحجر يقابل البترول *Pétrole* .

٦ — النَضَج لا النضوج

ويقول كثيرون من أرباب الصحف والمجلات : النضوج كالجلوس ، وهذا لم يرد على أسلة كاتب فصيح ، انما الوارد هو النَضَج بالتحريك ، لكنّ الكتاب اعتبروا النضوج مصدراً لِلازم فعدّوا مصدرهُ كمصدر قعد وجلس وبكر ، ولكن

نسوا أن هذه الأفعال وأشباهها مفتوحة العين في الماضي ، ونضج مكسورها ، وما كان من هذا البابِ فمصدره على فَعَلٍ بالتحريك ، كما قال ابن مالك :

وَفَعِلَ اللازم بابهُ فَعَلْ كفرَحٍ وكجوًى وكشلَلْ

ويقال أيضاً النَضْج بفتح وسكون والنُضْج بضم وسكون ، وهما اسما مصدر . إذن لك أن تقول نَضْج ونُضْج ونَضَج وهذه بالتحريك . لكن لا نُضوج .

٧ - يحاربُ فلاناً لا يُحارب مع فلان

ومن غريب سوء تصرفهم في معاني الألفاظ العربية ، انهم يقولون مثلاً : المانية تحارب الآن مع روسية . وهذا خلاف ما يرمون اليه من المعنى . والصواب ان يقولوا : المانية تحارب روسية . وأما قولهم مع روسية ، فمعناه ان المانية قد صادقت روسية وهي الآن تحارب مع صديقتها هذه عدواً لهما . ولهذا يقال : المانية تحارب مع ايطالية ، روسية او دولة الروس . وكذلك لا يقال : المانية هي في حرب مع روسية بل المانية في حرب لروسية واما المانية في حرب مع روسية فهذا كلام معناه ان المانية متفقة مع روسية لتحارب دولة أخرى هي عدوتها .

٨ — دولة كذا وكذا ، لا دولتا كذا وكذا ، ولا ما أشبه هذا التعبير

شاع اليوم بين الكتاب قولهم مثلاً : « ذكرت « دولتا » المانية وايطالية ، ان في « شهرَي » شباط وآذار ، يعقد في « مدينتي » برلين ورومة ، مؤتمر يذكر فيه « قانونا سنتي » كذا وكذا » الى ما أشبه هذا التعبير المولد الممقوت ، اي انهم يُثنون المضاف لورود متضمنين مفرقين بعده . وهذا لم يقرّهُ الاقدمون ، ولم ينطق به الفصحاء ، ولا البلغاء ، بل يبقون المضاف مفرداً في جميع هذه التراكيب وأمثالها ، كما قال الحذّاق من السلف في عصر العباسيين : جزيرة الرجال وجزيرة النساء ، وقال الصرفيون اسم المكان والزمان ، وظرف الزمان والمكان . ولم يقولوا : جزيرتا الرجال والنساء ، ولا اسما المكان والزمان ، ولا ظرفا الزمان والمكان . وفي سورة المائدة : « على لسان داود وعيسى بن مريم » ولم يرد « على

لساني داود وعيسى بن مريم » . واما اذا ثنيت المضاف فهذا معناه ان للمضاف المثنى مضافين اليه لا مضافاً اليه واحداً . فقولك كتابا الملك والأمير معناه ان للملك كتابين وللامير كتابين ، وأنت لا تريد هذا .

٩ — أيضاً فصيحة ولم تأتِ « كذلك » بمعناها

أخذ بعض الكتاب منذ نحو خمسين سنة يتحاشون عن قولهم « أيضاً » اعتقاداً منهم ان هذه الكلمة اعجمية الأصل ، ولم يستعملها فصحاء الكتاب في كلامهم ، وانّ أعجميتها هي *Item* ، وأما عربيتها فهي « كذلك » — قلنا : وهذا في منتهى الغرابة . لأن معنى الواحدة غير معنى الآخرة . فمعنى « أيضاً » : عَوْداً وتكراراً ، اوما أشبه هذا المعنى . والكلمة مفعول مطلق لفعل « آض يئيض » اي عاد يعود عوداً . قال في الكليات : « أيضاً ، مصدر آض ، ولا يستعمل الا مع شيئين بينهما توافق ، ويمكن استغناء كل منهما عن الآخر ؛ فخرج نحو جاءني زيد أيضاً ؛ وجاء فلان ومات أيضاً ؛ واختصم زيد وعمروٌ أيضاً ؛ فلا يقال شيءٌ من ذلك . وهو مفعول مطلق حذف عامله وجوباً سماعاً ، كما نقل ومعناه : عاد هذا عوداً على الحيثية المذكورة ؛ او حال من ضمير المتكلم ، حذف عاملها وصاحبها ، اي أخبر أيضاً ، او أحكي أيضاً ، اي راجعاً . وهذا هو الذي يستمر في جميع المواضع » اه بحروفه . (وقد نقل هذه العباره بطولها وعرضها صاحب محيط المحيط بتصرّف قليل ، ولم يشر الى مأخذه . وكذلك نقلها ابن عابدين في رسالته الفوائد العجيبة ، في اعراب الكلمات الغريبة في ص ٤ ولم يشر الى هذا المصدر نفسه) .

فأين هذا التعليل الفلسفي ، المنطقي ، النحويّ ، من قول الأديب المصري انه معرب من اللاتينية ؟ وقد وردت الكلمة عشراتٍ لا تحصى في كلام الجاحظ وهو من أقدم الكتاب ، وأفصحهم ، وأبلغهم . وُلد في سنة ١٦٣ للهجرة وتوفي سنة ٢٥٥ . (راجع مثلاً الجزء الأول من كتاب الحيوان . البابي . ص ٥٠ ، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،

٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ الى غيرها . وزد على هذا ان معنى (كذلك) مثل ذلك ، لا أيضاً . فكيف تقوم الواحدة مقام الأخرى في معناها [1] .

ثم لو اجتمعت (أيضاً) و (كذلك) في عبارة واحدة — وهذا ما يدل على أن معنى الكلمة الواحدة غير معنى الكلمة الثانية — فكيف تُنزَعُ (أيضاً) من مكانها وكيف يوضع في محلها كلمة أخرى ، فقد جاء مثلاً في كتاب الحيوان المذكور (١ : ١١٥) هذه العبارة : « وقد توجد المرأة ذاتَ لِحية ، وقد رأيتُ « ذلك » وأكثر ما رأيتهُ في عجائز الدهاقين ، و « كذلك » الغبب والشارب ، وقد رأيتُ « ذلك أيضاً » . فهذه الكلمات الثلاث لا تقوم الواحدة مقام الأخرى . وجاء في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، وقد ألفه سنة ٣٩٥ للهجرة ، فذكر في ص ٣٢٥ من طبع القاهرة هذه العبارة : « والدهر « ايضاً » لا يكون إلا ساعاتٍ قليلةً ، ويكون الحين « كذلك » انتهى .

وقد استعمل الجاحظ « كذلك » عشراتٍ لا تحصى لمعنى كذلك راجع مثلاً كتاب الحيوان . البابي ١ : ٢١ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٩١ الى آخر ما هناك فهل يقال بعد هذا ان (أيضاً) غير عربية ، وان عربيتها (كذلك) ؟

يتبع : الاب أنستاس ماري الكرملي

---

(١) قال الأديب المصري في ما قرأناه قبل نحو أربعين سنة أن الفعل آض أيضاً لم يرد في الآيات القرآنية .

قلنا : هذا صحيح لكنه وردَ في حديث الكسوف في قوله : [حتى آضت الشمس ، أي رجعت . يقال : آض يئيض أيضاً ، أي صار ورجع] (النهاية لابن الاثير) . وقد وردت أيضاً على يراعة سيبويه ، (المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة) وهو تلميذ الخليل بن أحمد ، مراراً لا تحصى في كتابه من ذلك في ١ : ١١٦ من طبعة مصر : [ومن ذلك (أيضاً) قولك : إن تأتني ، إذن آتكَ] وفي ١ : ٢٨٢ : [ومع هذا (أيضاً) إنه قد كثر في كلامهم حتى حذفوا فيه (إنه) و (إنه) لا تحذف في غير ذا] انتهى . ولا نريد أن نمن في ذكر الشواهد ، إذ هذا من باب تحصيل الحاصل ، وليس هناك جدوى أكثر مما ذكرنا .

بقايا الفِصاح

أعني ببقايا الفصاح طائفةً من الألفاظ التي استفاضت في العامة وأصلها فصيح ، الا انها مع تعاقب السنين عليها تباعد عنها فريق من الكتاب فذهب وهمنا الى انها عامية ، ولهذه الألفاظ على ما أعتقد قوة غريبة في حياتها ، فقد خلفها الماضي وتداولتها العامة ، فلم تفقد شيئاً من حياتها ، على الرغم من اختلاطها بألفاظ أعجمية انحدرت اليها من الأمم التي انبسط سلطانها على هذه البلاد او على بلاد العرب عامة ، ففي كل بلد من بلاد العرب طوائف من هذه الألفاظ ، ولكل طائفة منها حياة قوية ، ولقد عُنيت بها من سنين فاجتمع لي مقدار منها أرجع اليه من حين الى آخر فتنطوي لي أحقاب بعيدة ، فأرى في تضاعيف هذه الالفاظ حياة بلدٍ بأجمعه ، اذ أنها تفصح لي عن ناحيةٍ من نواحي الاجتماع او الاقتصاد او عن معنى من المعاني النفسية أو المادية او غير هذا كله ، ولهذه الألفاظ في الادب منزلة رفيعة ، وسلطان قوي لصلتها بالعامة على تراخي السنين ، ولامتزاجها بألسنتهم ، واذا لزمنا ان نخاطب الناس على قدر عقولهم حتى يكون لكلامنا تأثير في هذه العقول ، فيلزمنا ان نخاطب العامة بألفاظهم التي يأنسون بها ، فالكلمة التي تأنس بها تعمل في قلبك أو في عقلك أو في نفسك غير العمل الذي يعمله ما تستوحش منه من الكلام ، وقد كان سيد الكتاب أي الجاحظ تغلغل الى روح العامة ، فمال الى مصطلحاتهم وانبسط الى تعابيرهم ، فما كان ينقبض عن استعمال ألفاظهم في اضعاف كتاباته ، كالمخطراني والكاغاني والبانوان والقرسي والمشعب وما شاكلها ، ولقد ذهب مذهباً أبعد ، فما كان يستنكر الحكاية عن بعض الناس بقول ملحون ، فانه يرى ان الإعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب ، وكان يقول اذا دخلت على هذا الأمر الذي انما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيها حروف الإعراب والتخفيف والتثقيل وحولته الى صورة الفاظ الأعراب الفصحاء وأهل

المرؤة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب لفظه وتبدلت صورته، وقال في مقام آخر : وان وجدتم في هذا الكتاب لحنًا او كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لأن الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه عن حده ، الا ان احكي كلامًا من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء ، كسهل بن هارون وأشباهه .

على أنني لم استشهد بكلام الجاحظ للتحريض على استعمال الألفاظ العامية او على الخروج على قواعد الإعراب في بعض المواضع فما يجوز للجاحظ لا يجوز لي ولا لغيري في هذا الباب فهو سيد اللغة بجذافيرها ، لا تفلت منه لفظة منها ، وانما مدار كلامي على إحياء طائفة من الألفاظ العامية التي لها اصل فصيح ، فها أنا أورد في مقالي هذا فريقًا من بقايا الفصاح التي تدل على بعض معانٍ اجتماعية او اقتصادية أو مادية أو نفسية ، أو غير ذلك ، وأقتصر على ذكر يسير منها لأن المقام لا يتسع لذكرها كلها ، وقد حافظ قسم من هذه الألفاظ على معناه الأول ، فلم ينشأ تفاوت في المعنيين : اللغوي والعامي ، وقسم منها عدّل بعض التعديل ولكن النسبة بين المعنيين مستحكمة على الرغم من هذا التعديل .

* * *

من هذه الألفاظ ما يفصح عن معنى من معاني الاجتماع ، فمن الألفاظ الدمشقية قولنا : فَنَّكَتْ فلانة ، بالتشديد ، فقد كانت سيدات دمشق لسنين خلت يسهرن في دورهنّ ، ويجتمع بعضهن الى بعض في هذه السهرات ، فيلعبن لعبات مختلفة كلعبة النرزيز مثلاً او تغني احداهنّ اذا كانت حسنة الغناء ، أو تُضحك رفيقاتها اذا كانت خفيفة الروح ، فاذا كانت هذه الخفيفة قد أضحكت أهل الدار حتى بالغت في اضحاكهنّ قالت رفيقاتها بعد انفضاض المجلس : ان فلانة فنّكت البارحة .

وفي القاموس المحيط للعلامة الفيروزابادي ، وعليه اعتمدت في شرح بقايا الفصاح :

فنكت الجارية ، مجنت ، فأنت ترى ان أصل هذه المادة فصيح ، اوردها الفيروزابادي مخففة ، واستعملت في دمشق بالتشديد ، وبين المعنيين ، اللغوي والعامي نسبة واحدة ، فلا فرق بين معناها اللغوي ومعناها العامي ، ولست أعلم كلمة تعمل عملها في هذا الباب ، فانها خصبة الدلالة ، شديدة التأثير ، ولو خيرت بين استعمال هذه المادة وبين استعمال أخواتها الدالة على معناها لما فضلت عليها واحدة منها ، لشدة حياتها ، وعظم وقعها ، وقد تخرج في بعض الأوقات من الحقيقة الى المجاز ، فيقولون : فنك هذا الشتاء ، أي اشتد .

ومن بقايا الفصاح الدالة على نمطٍ من انماط اللعب قولهم في دمشق : فلان لعبه جماش ، فهذه المادة كنا نستعملها في مدارسنا من ثلاثين سنة للدلالة على تلميذ يلاعب رفيقه فيغلظ له في الملاعبة ، فقد يركله مثلاً ، أو يعضه ، او يهشم له عظماً الى غير هذا من انواع اللعب الغليظ .

فمن معاني هذه المادة في القاموس المحيط : الملاعبة ، فالجمش الملاعبة كالتجميش ، ورجل جمّاش متعرض للنساء كأنه يطلب الركب الجميش ، فلم يورد الفيروزابادي : لعباً جماشاً ، وانما أورد المصدر الثلاثي الجمش ، وبين المعنيين نسبة قوية ، فالجمش في اللغة الملاعبة ، وهذا هو معناها عند العامة ، الا ان العامة وضحت طرز هذه الملاعبة وخصصته ، فهي ملاعبة شديدة ، غليظة والأصل اللغوي ليس فيه هذا التمييز ، وفي كل حال المادة واحدة ، ولكنها عدّل معناها هذا التعديل .

ومن بقايا الفصاح ما يدل على معانٍ نفسية مثل قول العامة : نغش له قلبي ، اي انبسط اليه وأنس به .

وفي القاموس المحيط : وهو ينغش اليه ، اي يميل ، فهذه مادة لم تفقد شيئاً من صلتها بأصلها اللغوي ، فما زالت على معناها الأول ، دون أن يدخل عليها شيء من التعديل .

ومن هذه الألفاظ ما يدل على معان اقتصادية مثل قول العامة : فلان بعزق

مال أبيه ، او فلانة بعزقت السمن في الطبخ ، وفي الأصل اللغوي : بعزق الشيء أي فرّقه وبدّده ٠

فهذه المادة حافظت أيضاً على أصل وضعها ٠

ومن بقايا الفصاح ما يدل على معانٍ مختلفة ، ومذاهب شتى ، مثل قولنا : فرتكها فلان ، أي أفسدها والضمير يرجع الى خطةٍ او الى سياسةٍ أو الى غير هذا ، وفي الأصل اللغوي : فرتك عمله أي أفسده ٠

فلم يتغير شيء من معنى هذه المادة في أصلها ٠

ومن كلام العامة في دمشق : العطعطة ، فاذا كان لوالدٍ ولد وترك هذا الولد داره في الليل أو في النهار ، وعاد في منتصف الليل مثلاً فيقول له أهله : أين كنت تعطعط ، على سبيل التوبيخ ، ومن معاني العطعطة في اللغة حكاية صوت المجّان اذا قالوا : عيط ، عيط ، وذلك اذا غلبوا قوماً ٠

فهنا لم تحافظ العطعطة على معناها اللغوي ، وانما تباعد المعنيان بعض التباعد ، ولكن على الرغم من هذا التباعد قد يكون معنى أصلها العامي نظير معنى أصلها اللغوي ، ثم دخل هذا المعنى تحريف على السنين فضاع الأصل اللغوي وبقي الأصل العامي ٠

ومن بقايا الفصاح ما يدل على لون من الألوان ، فمن كلام العامة : باخ الثوب ، وهم يريدون بذلك : ذهب بريقه ، وفي اللغة : باخت النار أي سكنت ، فالمعنيان متقاربان ، الا ان العامة عدلت عن حقيقة معنى هذه المادة الى المجاز فيها ، فالنسبة بين ذهاب بريق الثوب وبين ذهاب لهيب النار واحدة ، وقد وردت هذه المادة في شعر نهشل بن حرى :

ويوم كأن المصطلين بحرّه   وان لم تكن نار وقوف على جمر

صبرنا لها حتى تبوخ وانما   تفرج ايام الكريهة بالصبر

وقد رأيت قبل أن اختم هذا الاستشهاد ان أذكر مادةً عريقة في العامية وهي :

العراضة ، والمقصود بها اجتماع فريق من العامة في يوم عرس ، أو في يوم فرح ، أو في يوم عيد ، أو في أيام انقلاب سياسي ، كالانقلاب الذي جرى في دمشق سنة ١٩٠٨ ، ثم جولان هذه العامة في البلد ، يهزجون فيه وأمامهم وصاف يصف وهم يردّدون ما يصف ، وفي أيديهم سيوف او خناجر أو عصي او ماشابه ذلك ، وقد كان هذا النوع من الاحتشاد فاشياً في دمشق ، ثم قلّ وُبدّل بنوع آخر وهو المظاهرة .

ومن معاني العُراضة في اللغة : الهدية وما يحمل الى الأهل وما يعرّضه المائر أي يطعمه من الميرة ، وجاء في الأغاني في كلام لصاحبه على ابن هَرمة ان السري أمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه ومائة دينار يتجهز بها ومائة دينار يعرض بها أهله ، وقد فسر صاحب الأغاني قوله : يعرض بها أهله على هذا الوجه : يهدي لهم بها هدية ، والعراضة الهدية ، قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك :

كانت عراضتك التي عرضتنا يوم المدينة زكمة وسعالا

فهنا قد ضاعت النسبة بين العَراضة العامية ، بفتح العين ، وبين العُراضة اللغوية بضمها ، واتسع مجال التأويل فهل أصل هذه العراضات الدمشقية اجتماع فريق من الناس لتقديم هدية في عرس أو ماشا كل ذلك ؟

☆ ☆ ☆

هذا آخر ما أحببت أن استشهد به من بقايا الفصاح ، على كثرة ما عثرت عليه من هذه البقايا ، ورغبتي في جمع هذه المواد التنبيه على قوة حياتها ، فالكلمات على نحو ماقال « اناتول فرانس » انما هي أفكار ، ولاسبيل الى الاصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة ، والشعب الأول في العالم هو الشعب الذي يملك أحسن الأصول في النحو وتنسيق اللفظ ، فقد يقع في أغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم يضيء ظلمة كل شيء !

شفيق جبري

الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائي
(٢)

هجاؤه

الهجاء والفخر هما الفنان اللذان زخر بحرهما وتفنن الشعراء بهما في العصر الأموي ، وذلك لتيقظ روح العصبية بين القبائل ولاختلاف المذاهب السياسية . وهجاء الطرماح مر لاذع فيه تهكم وسخرية وألمعية ، من غير فحش او اقذاع الا على الندرة . وهو في الهجاء اكثر لباقة وأوسع تصرفاً وأسلس لغة واحكم قافية وابرع تفنناً منه في جميع أبواب شعره . روى صاحب الأغاني بسنده عن الفضل قال : « اذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يوحى اليه ثم أنشد له قوله :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها ... حوض النبي عليه الأزد لم تردِ
او انزل الله وحياً ان يعذبها ... إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد
لا عزَّ نصر امريءٍ أضحى له فرس ... على تميم يريد النصر من أحد
لو كان يخفى على الرحمن خافية ... من خلقه خفيت عنه بنو اسد »

والغريب انه في غزله اكثر منه جداً في هجائه . وشعر الطرماح المشتمل على كثير من غريب اللغة وعويصها يكاد يخلو منهما اذا كان هجاء كأنه أراد بذلك تقريبه من فهم الناس كلهم ليسهل حفظه وتعم روايته . ولقد مزّق بهجائه بني تميم = على كثرة شعرائها = تمزيقاً . وهجاؤه وفخره أجود ما قال من الشعر وهو فيهما اكثر براعة واحساناً وحسن تصرف منه في جميع ابواب شعره .

* * *

وأثر الدين واضح جلي في طائفة من شعره منها قوله :[1]

كل حي مستكمل عدة العمـ ... ـر ومودٍ اذا انقضى عدده
عجباً ما عجبت للجامع المـا ... ل يباهي به ويرتفده

---

(١) ديوان الطرماح ص ١١٢

ويضيع الذي يصيِّره اللـ ـه اليه فليس يعتقده
يومَ لا ينفع المخوَّلَ ذا الثر وة خلاَّنه ولا ولده
يومَ يؤتى به وخصماه وسط الـ ـجن والانس رجله ويده
خاشع الصوت ليس ينفعه ثَمّ امانيُّـه ولا لدده

لغتـــه

الطرماح من اكثر الشعراء الاسلاميين تتبعاً لغريب اللغة وعويصها ، ولغته في قسم كبير من شعره اشبه بلغة الرجاز الذين كانوا يباهون بالغرابة مثل العجاج وابنه رؤبة وابي النجم . قال محمد بن حبيب : « سألت ابن الاعرابي عن ثماني عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف منها واحدة يقول في جميعها لا أدري لا أدري » .

ولعل السبب في ذلك ان الطرماح لم يكن بدوياً بل أخذ اللغة على سبيل الطلب والتلقي واشتغل بالتعليم زد على ذلك ان رواة الادب واللغة وقتئذ كان يعجبهم هذا النوع من الغريب يستشهدون به ويدونونه . فكأنه اراد ان يدل بسعة معرفته بلغة العرب وغريبها ، فجمع في كل قصيدة من غريب اللغة مالا تكاد تراه في ديوان ليتدارسه الطلاب ويستشهد به الرواة .

ولقد كان يسئل عن معاني شعره في مجالس اهل الادب ويحتج علماء اللغة به ويمتحنون معرفتهم بمفرداته . وابياته المثبوتة في المعاجم اللغوية كأساس البلاغة للزمخشري والقاموس للفيروزابادي ولسان العرب لابن منظور كثيرة . وذلك بالرغم من حملة الاصمعي عليه فقد كان لا يحتج به ولا بصاحبه الكميت ويقول : « الكميت تعلم النحو وليس بحجة وكذلك الطرماح وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه » .

ولقد اغرق الطرماح في تتبع الغريب واستعماله وسأل عنه وتكلفه قال العجاج : « كان الكميت والطرماح يسألاني عن الغريب فأخبرهما به ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير موضعه فقيل له ولم ذلك قال لأنهما قرويان يصفان مالم

يريا فيضعانه في غير موضعه وانا بدوي اصف ما رأيت فأضعه في مواضعه [١] » .
بل زعم بعضهم ان الطرماح كان يجمع الفاظاً نبطية ويقيدها ثم يعربها ويستعملها في شعره حباً بالاغراب . قال الأصمعي : « ذكر الطرماح عند ابي عمرو بن العلاء فقال رأيته بسواد الكوفة يكتب الفاظ النبيط فقلت ما تصنع بهذه قال أعربها وادخلها في شعري » [٢] .

ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماح لا يتكلف الغريب في كل شعره وانما في قسم منه تتعلق اغراضه بالشاعر نفسه ولا تتعداه الى سواه فترى القصيدة تشتمل على غزل ووصف وفخر وآراء خاصة لا علاقة لها بممدوح يصعب عليه فهمها او مهجو يأمن سيرورتها لغرابة لغتها وهذا القسم من شعر الطرماح أشبه بالمقامات التي عني أصحابها بجمع الفصح والشوارد وجعلوها لطلاب الادب والخاصة دون العامة . وهكذا نرى رواة الادب واللغة عنوا بهذا النوع من شعر الطرماح اكثر من غيره ولا يبعد ان يكون هو نفسه كان يرويه تلامذته لأنه اشتغل بالتعليم .

وهناك قسم آخر من شعر الطرماح لا نفرق لغته عن لغة الشعراء المعاصرين له كالفرزدق وجرير واكثره في الهجاء والفخر وبعضه في المدح والرثاء تغلب عليه الجزالة من غير اغراب ولا يحتاج القارئ في تفهمه لاكثر مما يحتاجه في تفهم غيره من الشعر في العصر الأموي . واغراض هذا القسم من شعر الطرماح تستدعي عدم التعمق والاغراب لأن الهجاء اذا لم تكن لغته سائغة لا يسير بين الناس ولا ترويه العامة ، والمدح بالعويص والحوشي اشبه بالتهكم والسخرية وكذلك الرثاء والفخر .

وقبل ان انتهي من الكلام على لغة الطرماح أريد ان أدل على بعض كلمات من لغة طيئ وردت في شعره ولا غرابة في ذلك فهو طائي . من ذلك قوله :

كجبة الساج نجا بابها صبحٌ جلا خضرةَ أهدامِها [٣]

نجا بابه اذا فتحه بلغة طيئ . وقوله :

---

(١) الاغاني ج ٣ ص ١٧ (٢) الموشح للمرزباني ص ٢٠٨ (٣) ديوان الطرماح ص ١٦٢

قد اخضلَّ منها كل بالٍ وَعيِّنٍ   وجفَّ الروايا بالملا المتباطن [١]

العيِّن والعيِّن الجديد في لغة طيّ ٠ وقوله :

وغدا اذ بدت له الشمس يجتا   ب كثيبا أُخليَ له عَقِدُهْ [٢]

أُخليَ له اي أُخليَ له وهي لغة طيّ ٠

ديوان الطرماح

في سنة ١٩٢٧ ميلادية تم طبع ديوان طفيل الغنوي وديوان الطرماح بن حكيم الطائي [٣] في مجلد واحد بعناية المستشرق الفاضل الاستاذ ف ٠ كرنكو عن النسخة المكتوبة في الأندلس سنة ٤٣٠ هجرية والمحفوظة في المتحف البريطاني في القسم الشرقي رقم ٦٧٧١ ٠

ويقول الاستاذ كرنكو ان نسخة الديوان المخطوطة المشتملة على شعر الطرماح وشرحه غير تامة وغير مذكور فيها اسم جامع الديوان ولكنه يظن انه الطوسي احد من جمع شعر الطرماح ٠ ولذلك فان الاستاذ كرنكو اردف الديوان بذيل جمع فيه ماعثر عليه من شعر الطرماح في كتب الادب واللغة والتاريخ ٠ ثم بعد ان تم طبع الأصل والذيل عثر ايضاً على أشياء أخر من شعره في نسخة مخطوطة من كتاب معاني الشعر لابن قتيبة وغيره فألحقها بالذيل ٠ وقد ترجم الديوانيين الى اللغة الانكليزية وجعل لهما مقدمة وفهارس للقصائد والمقطوعات والاعلام والمراجع ومعجما لمفردات الديوانين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتدقيق تنم على علم وفضل وبراعة ٠

وهاك وصفاً موجزاً لقصائد ديوان الطرماح واغراضها :

القصيدة الأولى ومطلعها :

ألا أيها الليل الذي طال أصبحِ   بِبمّ وما الإصباح فيك بأروحِ

نظمها في بم من بلاد كرمان بفارس وفيها حنين الى وطنه وتشوق الى زوجه سلمى وولده

(١) الديوان ص ١٦٨ (٢) الديوان ص ١٢٢ (٣) انظر مجلة المجمع م ١٦ ص ٤٦

صمصامة ووصف للفلاة والذئب والناقة والقطا وفيها فخر . ومن ابدع ما فيها عاطفته نحو زوجه وولده وخوفه من ان يموت بعيداً عنها فتتزوج سلمى غيره فيسيءُ معاملة ابنه صمصامة . ولهذه القصيدة ملحقان عثر عليهما الاستاذ كرنكو فأثبتهما في آخر الديوان . وعدد ابيات هذه القصيدة عدا الملحقين أربعة وخمسون بيتاً .

القصيدة الثانية ومطلعها :

قلّ في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراض

وهي احدى القصائد المعروفة بالملحمات مذكورة في كتاب جمهرة اشعار العرب . وعدد أبياتها في الديوان ثلاثة وأربعون بيتاً وفيها كثير من غريب اللغة . وقد ذكر فيها الشاعر النهروان وتذكر أيام الصبا ثم قال انه تاب وأناب ووصف الفلاة وافتخر .

القصيدة الثالثة وأولها ساقط من الديوان وما بقي منها اربعة وثلاثون بيتاً تبتدئُ بهذا البيت :

يمسي بعقوتها الهِجَفُّ كأنه حبشي حازقةٍ غدا يتهبَّدُ

ولكن ناشر الديوان عثر على ملحقين لهذه القصيدة اثبتهما في آخر الديوان . وفي القصيدة تلهف على الظاعنين ووصف الفلاة وما فيها من خشاش ونعام مع وصف ثور الوحش وصفاً حسناً ومطاردة الكلاب له ويختمها بالفخر وهي أقل غريباً من القصيدة الثانية الضادية .

القصيدة الرابعة ومطلعها :

شت شعبُ الحي بعد التئامْ وشجاك اليومَ ربعُ المقامْ

يفتتحها كما ترى بالتلهف على الراحلين وما تثيره منازلهم بعدهم من الحزن ويأتي فيها على ذكر الاطلال والدمن ويصف الظبي وامه كما يصف سفر النساء على الابل ويذكر محاسنهن ويصف الفلاة وما فيها من وحش وطير ثم يصف الناقة ويشبهها بثور الوحش ثم يسترسل بوصف هذا الثور وكيف لحقته الكلاب ثم يشبه ناقته بأتان وحشية ويسترسل بوصفها ووصف الصياد وعدد أبيات هذه القصيدة تسعة وسبعون بيتاً .

القصيدة الخامسة ومطلعها :

طال في رسم مهددٍ أبده وعفا واستوى به بلده

يفتتح بالوقوف على الطلل ثم يتخلص الى نظرات في الزمان فيها حكمة وعظة متأثرتان بالاسلام ثم يفتخر بالكرم والمقامرة ثم يذكر سفر أحبابه على الابل في الفلاة وان محبوبته من أهل الحضر لامن البدو (ص١١٦) ثم يصف الناقة ويشبهها بالنعام ويسترسل بوصف النعام ثم يصف ثور الوحش وكيف هاجته الكلاب وفيها كثير من غريب اللغة وعدد ابياتها خمسة وسبعون بيتاً .

القصيدة السادسة ومطلعها :

الا من لعين لا تجفُّ سجومها تأوَّبها حاجاتها وهمومها

يفتتحها بالغزل ويتخلص الى الهجاء ولكن القصيدة غير تامة لم يبق منها الا احد عشر بيتاً .

القصيدة السابعة ومطلعها :

لمن ديار بهذا الجزع من رَبَبِ بين الأحزَّة من هوْبان فالكثبِ

يفتتح بذكر الاطلال ثم يفتخر وعدد أبياتها خمسة وعشرون بيتاً

القصيدة الثامنة ومطلعها :

الا ان سلمى عن هوانا تسلتِ وبتتْ قوى مـا بيننا وأدلتِ

يفتتح بالغزل ولا يعتم ان يتخلص الى الفخر ويهجو الفرزدق ويدل بقحطانيته وشآميته وهي من أحسن الشعر وعدد ابياتها ستة وثلاثون بيتاً وبها ينتهي الديوان في النسخة المخطوطة سنة ٤٣٠

ثم يأتي الذيل الذي جمعه الناشر وفيه طائفة صالحة من شعر الطرماح بعضها تكملة لما سقط من قصائد الديوان وبعضها قطع مستقلة تدخل في نحو من خمس وستين صفحة كبيرة ويلفت النظر في الذيل قصيدة يمدح في بعض أبياتها يزيد بن المهلب مطلعها :

قفا نسل الدمن الماصحه   وهل هي ان سئلت بائحه

فيها ذكر الطلل ووصف ثور الوحش وفيها كثير من الغريب ص ١٣٧ .

وأهم الاغراض التي في الذيل ما يأتي : فخره بقحطان ص ١٤٧ ما يدل على مذهبه ص ١٤٩ وص ١٥٧ وصف النخل ص ١٥٢ شجاعته ص ١٥٥ مدحه ليزيد بن المهلب ص ١٥٩ وص ١٦٢ اقذاعه في الهجاء ص ١٦١ رثاؤه الحسن ص ١٦١ سفره الى فارس ص ١٧٤ و ص ١٧٥ فخره باليمن ص ١٧٥ اثر الاسلام ص ١٧٦ هجاؤه الموجع ص ١٩١ و ص ١٩٤ .

* * *

أمثلة من شعره

قال الطرماح يفتخر

لقد زادني حباً لنفسي انني   بغيض الى كل امرئ غير طائلِ
واني شقي باللئام ولا ترى   شقياً بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطرف دونه   ودوني فعلَ العارف المتجاهل
ملأتُ عليه الأرض حتى كأنها   من الضيق في عينيه كفة حابل
أكلُّ امرئ الفى اباه مقصراً   معادٍ لأهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى   ولا يضطني من شتم أهل الفضائل
ومــا منعت دار ولا عزّ أهلها   من الناس الا بالقنا والقنابل

وقال يرثي :

ولو ان غير الموت لاقى عدبّساً   وجدك لم يسطع له ابداً هضما
فتى لو يصاغ الموت صيغ كمثله   اذا الخيل جالت في تساجلها قدما
ولو ان موتا كان سالم رهبةً   من الناس انسانا لكان له سلما

وقال يفتخر :

لولا فوارس مَذْحج ابنة مذحج   والأزد زعزع واستبيح العسكرُ

ونقطعت بهم البلاد ولم يؤب ... منهم الى اهل العراق مخبر
واستضلعت عقد الجماعة وازدُري ... امر الخليفة واستحل المنكر
قوم هم قتلوا قتيبة عنوةً ... والخيل جانحة عليها العثير
بالمرج مرج الصين حيث تبينت ... مضرُ العراق مَن الأعز الاكبر
قحطان تضرب رأس كل مدجج ... تحمي بصائرهن اذ لا تبصر
والأزد تعلم ان تحت لوائها ... ملكاً قُراسية وموت احمر
فبعزنا نصر النبي محمد ... وبنا تثبت في دمشق المنبر

وقال يهجو الفرزدق :

بأي بلاد تطلب العز بعدما ... بمولدها هانت تميم وذلتِ
اقرت تميم لابن دحمة حكمه ... وكانت اذا سيمت هواناً اقرت
وكانت تميم وسط قحطان اذ سمت ... كمقذوفة في اليم ليلاً فضلت
ونجاك من اسد العراق كتائب ... لقحطان اهل الشام يوم استهلت
بهم ينصر الله الخليفة كلما ... رأوا نعل صنديد عن الحق زلت
بهم نصر الله النبي واثبتت ... عرى عقد الاسلام حتى استمرت
افخراً تميمياً اذا فتنة خبت ... ولؤماً اذا ما المشرفية سلت
ولو خرج الدجال ينشد دينه ... لزافت تميم حوله واحزألت
فراش ضلال بالعراق وحسوة ... اذا مات ميت من قريش أهلت
فأين تميم يوم تخطر بالقنا ... كتائبُ منا أظعنت وأحلت
فخرت بيوم العقر شرقي بابل ... وقد جبنت فيه تميم وقلت
فخرت بيوم لم يكن لك فخره ... وقد نهلت منك الرماح وعلت
كفخر الإماء الرائحات عشية ... برقم حدوج الحي حين استقلت
فما لقيت قتلى تميم شهادة ... ولا صبرت للحرب حين اشمعلت
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت طرق المكارم ضلت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى ... جلال المخازي عن تميم تجلت

وقال أيضاً :

تميم تمنى الحرب مالم تلاقها وهم قصف العيدان في الحرب خورُها
وتلقى تميماً شيخها عند بابها ذليلاً ويُغذى بالهوان صغيرها
ولو كان يبكي القبر من لؤم حشره بكتْ من تميم كل يوم قبورها

وقال :

ومـا خلقت تيم وزيد مَناتها وَضبةُ الا بعد خلق القبائل
عراقيب ضم الذل واللؤم بينهم كما انضم شخص ··· المتضائل
وتوعدني الأقيان من آل دارم بكل لئيم من معد وخامل
ومن يلتمس في طيءٍ تِرةً له تكن كالثريا من يد المتناول

وقال يهجو الفرزدق :

لاعزَّ نصر امريءٍ امسى له فرس على تميم يريد النصر من احدِ
اذا دعا بشعار الازد نفرهم كما ينفر صوتُ الليث بالنقد
لو حان ورد تميم ثم قيل لها حوضُ الرسول عليه الازد لم ترد
او نزّل الله وحياً ان يعذبها ان لم تعد لقتال الأزد لم تعد
وكل لؤم اباد الدهر اثلته ولؤم ضبة لم ينقص ولم يبد
لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو اسد
قوم اقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه جذمة الوتد
لا تأمننّ تميمياً على جسد قد مات ما لم تزايل أعظم الجسد

ويعجبني كثيراً قوله معللاً راحة المهموم في الصبح :

الا أيها الليل الذي طال أصبح بيم ومـا الاصباح فيك بأروح
على ان للعينين في الصبح راحةً بطرحهما طرفيهما كلَّ مطرح

انتهى

خليل مردم بك

صفحات مطوية

من مخطوطات خزانة كتبي كتاب « في فضل الجهاد وما يجب مراعاته على الملوك والعلماء وغيرهم » تأليف محمد بن احمد بن محمد المجاور بمكة المشرّفة سابقاً كما يقول وسأتولى وصف هذا الكتاب الذي لم يذكر المؤلف تاريخ وضعه وجمعه كما أن الناسخ لم يشر الى تاريخ نسخه .

ويظهر ان هذه النسخة كانت لمحمد الدمشقي الحسني الشهير بابن العطار فقد كتب بآخر صفحات الكتاب بخط يده ما يلي : « صورة كتاب وكلت فيه رجلاً من غزّة بافتاء الشافعية فيها عن ولدنا السيد محمد نجيب لغيابه في مصر . وقد كان الموكل قبل ذلك مفتياً فأكثر من ردّ المطلقات ثلاثاً بحيل شتى فلما بلغني طلبتها لولدي المذكور ووكلت فيها رجلاً أصلح من المفتي الأول فتوجه الأول الى الشام ونزل في بيت مفتيها جناب السيدخليل افندي المرادي فحرّر لي جناب المذكوريرجو توكيل الرجل فكتبت له ما صورته :

جناب عمدة الأفاضل الكرام اخونا الشيخ صالح النخالة سلمه الله تعالى وأبقاه

غب التحيات والتسليم بمزيد أنواع العزّ والتكريم نبدي انه اذناً لك بأن تكون وكيلاً عن ولدنا السيد محمد نجيب في افتاء السادة الشافعية في غزّة المحمية بشرط ان لا تفتي بأن الطلاق الصريح يحتاج الى النية ولا بأن الفعل المضارع لا يقع به الطلاق للحال ولا بأن الاستثناء بالقلب يكفي ولا بأن المرأة التي لا تصلي لا يقع طلاقها المعلق بصحة ابرائها اذ المسألة الأولى تغيرت بعرف الزمان والمكان وعلى العرف مبنى الطلاق والايمان ولا يخطر الآن بخاطر احد قال لزوجته انت طالق الا طلاق من الوفاق الا ان كان يكون من العلماء عارفاً بالمسألة وقليل ماهم سيما في بلادكم .

وما يدين فيه الحالف عند المفتي لا يقضي به القاضي وليس للمفتي ان يأذن للقاضي بأن يقضي بما أفتى فيه بالديانة ولو قضى به القاضي لا ينفذ .

وأما المسألة الثانية : فالحق ان الفعل المضارع في صيغةٍ تكوني او تروجي طالقاً يقع به الطلاق في الحال للعرف لأن اهل دياركم كما شاهدتهم لا يعرفون من صيغ الطلاق غير تلك الصيغة ولو كلف من أراد طلاق زوجته الى ان يقول لها انت طالق لا يجري ذلك على لسانه ولا يقول الا تكوني طالقاً كما وقع ذلك عندي غير مرّة حين ابتليت بقضاء دياركم ثم بافتائها . وأيضاً القرينة تمحض المضارع هنا للحال وهي قوله طالق اي مطلقة فهو اسم مفعول وحقيقته الاطلاق على من وقع عليه الفعل في الحال . وما أفتى به المرحوم العلامة خير الدين الرملي من ان تروجي فعل مضارع ولا يقع به الطلاق في الحال بناء على ما قاله الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى فهو سهو لأن مراد المحقق ابن الهمام بالمضارع الذي لا يقع به الطلاق للحال المضارع المصوغ من مادة الطلاق كما اذا قال لها اطلقك والفرق بين الصورتين كالفرق بين الصيغتين ظاهر لا يحتاج الى تأمل . ومع ذلك فالقرينة التي ذكرناها غير موجودة في هذه الصورة بخلاف الصورة الأخرى . وما ذكره عمدة السادة الشافعية العلامة الرملي في فتاواه من هذه المسألة فهو محمول على ما قبل اشتهار العرف وأيضاً يضعفه تمحض المضارع للحال بالقرينة المذكورة .

وأما المسألة الثالثة : فان الاحكام في هذا المقام تدور على الكلام . والكلام اذا لم يكن مسموعاً لا عبرة به . وأيضاً لا تعتبر النية في الطلاق والايمان الا اذا احتملها اللفظ .

واما المسألة الرابعة : فقد رأيت من أفتى بها في دياركم فأوقع نساء تلك البلاد فيما اعتقدن ويقرب من الكفر وذلك انهن اعتقدن بأن من تصلي تكون الصلاة سبباً لصحة وقوع طلاقها المعلق بابرائها ومن لا فلا . وهذا اعتقاد وخيم وقبح جسيم ينبغي الحذر منه ويجب على المفتي مراعاة الزمان والمكان والاشخاص . وقد نبه الفقهاء العظام على مثل هذا المرام في المعتبرات من كتب الاحكام فليكن لك ذلك الاعتماد والسلام » . اه

وأضاف الى الصورة المذكورة ما يأتي :

سُئلت في اسلامبول عن حكمة اختصاص الصدّيق رضي الله تعالى عنه بالاستصحاب

في سفر الهجرة دون سائر الصحابة رضي الله عنهم فأجبتُ : الحمد لله الصواب ٠ لما كان الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بسبب ما وقر في صدره الشريف بدلالة معنى ما ورد في ذلك والأمر الذي وقر في صدره رضي الله تعالى عنه انما هو المعرفة الإلهية التي رجح بها ايمانه على ايمان أهل الأرض وكسبه رضي الله عنه تلك المعرفة الفاضلة عن معرفة غيره من الصحابة رضي الله عنهم انما كان بسيره الى الله تعالى من طريق الخفاء وذلك باستعمال الذكر الخفي ومشاهدته بالبصيرة تجليات الحق تعالى في الظاهر ومشاهدة البصيرة أمر خفي عن الحواس الظاهرة وعن جميع الناس والانبياء عليهم الصلاة والسلام ابداً لسيرهم الى الله تعالى من حيث الباطن وكثيراً الى الخلق من حيث الظاهر والنبي صلى الله عليه وسلم لما اراد السير مهاجراً من مكة المشرّفة الى المدينة المنوّرة على طريق الاختفاء ناسب استصحاب من كان سيره الى الله تعالى من طريق الخفاء ليتطابق المسيران ويتوافق الرفيقان ولهذا كان اختفاؤهما في الغار عن أعين المشركين في باطن الغار اشارة الى ذلك التطابق واطلاع سراقة [١] رضي الله تعالى عنه عليهما دون غيره فلخاصة في اسمه اذ هو مأخوذ من السرقة والخفية من مفهومها فبذلك انكشف له اختفاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله تعالى عنه فتأمل بهذا السر العجيب والأمر الغريب تعقيباً والله أعلم ٠ وكتبه الفقير الى عفو ربه الستار محمد الدمشقي الحسيني ابن العطار خادم الكعبة والآثار ٠

ويظهر من صورة الكتاب المحرر بعاليه والتعليق الذي أُضيف اليه انّ الشيخ محمداً العطار من علماء دمشق المعروفين وانه ولي القضاء والافتاء في فلسطين حين كانت تابعة لولاية الشام او سورية باصطلاح العثمانيين ٠ الا ان المرادي الذي كتب الى العطار يطلب منه توكيل الشيخ صالح النحالة بافتاء غزّة لم يترجم له في كتابه سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ٠ وقد يرد على البال او يخطر بالخاطر ان يكون العطار قد عاش بقية القرن الثاني عشر ودخل في الثالث عشر فلم يترجم له المرادي الا

(١) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن كنانة المدلجي هو الذي تتبع اثر الرسول ليدل عليه ويأخذ الدية من قريش ثم تركه بعدما ادركه ٠

ان العطار قد توفي في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ كما دوّن ذلك حفيده محمد العطار في تعاليقه على رحلته الموسومة برحلة العطار الشامي الذي ابتدأها في ٢ صفر سنة ١١٧٩ ﻫ من بيت المقدس وقصد الى استانبول عاصمة الملك العثماني فقد قال في بعض تعليقاته « انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جدّ الفقير في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ » . اﻫ ووجود صفة السيد في كلام الحفيد تثبت ان الجدّ من الاشراف كما وقع بذيل تعليقاته .

ومما يُستغرب حقاً ان يهمل المرادي شأن محمد العطار الجدّ فلا يترجم له ثم يشير الى محمد العطار الحفيد في ترجمته للشيخ عبد الوهاب تلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة جور ليلي علي باشا بالاستانة حيث قال : [١] ان أبناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك اسم السيد محمد العطار الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وأرسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي [٢] فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء في أولها :

أيا فاضلاً حاز البراعـة بالقلب ... وصاغ فنوناً في البلاغة كالقلبِ
وفاق بنظم الشعر سحبان وائل ... وقسّ أيادٍ في القريض على القرب
نظمت عقود الدر في سمط رقة ... وقلدتها جيد الخرائد من عرب
ولا عجب اذ أنت في الفضل سيدٌ ... لجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب
أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً ... من الشام من أرضٍ مقدّسة الترب

الى آخر القصيدة .

لذلك نرجح ان المرادي أراد اغفال ترجمة العطار قصداً بسبب المنافسة ذلك الداء الوبيل الذي يتفشي عادة بين الأقران في كل زمان ومكان رحمة الله تعالى عليهم جميعاً .

عبد الله مخلص

(١) سلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر جزء ٤ صفحة ١٦٤ وفيه ان الشيخ ابراهيم الحلبي شرح ذلك اللغز وهو في (جير) في رسالة (٢) ترجمة الشيخ ابراهيم المذكور في سلك الدرر ج ١ ص ٣٧ — ٣٩ وفيها انه من العلماء المحققين .

افتراء ابن بطوطة

على ابن تيمية

ذكرني ما جاء في الجزء الرابع من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي في ص ١٩١ من قول رئيسه عن كتاب تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية تأليف صديقنا السيد هنري لاوست . نفذ مؤلف هذا الكتاب الى تاريخ شيخ الإسلام ابن تيمية وغاص كما يغوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام الخ .

ان بعض من ينتقده ويطعن في عقيدته ويقول انه يذهب الى القول بالجهة يستند الى ما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته (في ص٥٧) « وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشأن ويتكلم في الفنون الا ان في عقله شيئاً وكان اهل دمشق يعظمونه اشد التعظيم ويعظهم على المنبر (الى ان قال) وكنت اذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر ».

وقد تبين لي بعد البحث والتدقيق ولا اعلم احداً تنبه لذلك قبل الآن [1] ان هذه القصة من وضع ابن بطوطة وانها محض افتراء على شيخ الاسلام ابن تيمية واليك البيان

قد ذكر ابن بطوطة نفسه في ص ٥٠ من رحلته انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين (وسبعمائة) ونزل بالمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية .

وقد جاء في الدر المنتخب في تاريخ حلب للقاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية [2] في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ما نصه بعد كلام طويل . « وهذا الثناء عليه وكان

(١) كتب في هذا الموضوع الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار في مجلة دمشق ج ١٠ ص٣

(٢) من مخطوطات مكتبة المدرسة الاحمدية بحلب وقد تكلمت عليه في الجزء الرابع من المجلد السادس عشر (ص ١٨٦) .

عمره نحو الثلاثين سنة ثم جرت له محن بسبب فتواه في مسألة الطلاق الثلاثة وشد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين اوجبت القيام عليه وحبس مرات بالقاهرة والاسكندرية ودمشق وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق وحصل له في بعضها تعظيم زائد من السلطان وآخر الأمر ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فجعل في قاعة حسنة واجري اليها الماء الخ ثم قال في آخر ترجمته توفي معتقلاً ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » .

وقال ابن شاكر الكتبي في تاريخه فوات الوفيات في أواخر ترجمة ابن تيمية ما نصه : « وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فأخليت له قاعة حسنة وأجري اليها الماء وأقام فيها ومعه أخوه [1] يخدمه (الى ان قال) واقبل (وهو بالحبس) على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين فلم يفجأ الناس الا نعيه وما علموا بمرضه (ثم قال) وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » .

فقد اتفق هذان المؤرخان على انه اعتقل في شعبان سنة ٢٦ وظل معتقلاً الى ان أتاه اليقين وابن بطوطة يقول انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان وانه سمعه يوم الجمعة العاشر منه يقول ما قدمنا ذكره عنه مع أنه باتفاق المؤرخين كان في شهر شعبان معتقلاً فكيف سمعه وهو معتقل وقتئذ . هذا ولا ريب محض افتراء . ويؤيد قولنا ان هذه القصة مفتراة من ابن بطوطة ما قاله الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمته (ج ٤ ص ٨٠) « قال شيخنا ابو البركات ابن البلفيقي حدثنا بغرائب مما رآه فمن ذلك انه زعم انه دخل القسطنطينية فرأى في كنيستها اثنى عشر الف اسقف وقرأت بخط ابن مرزوق ان اباعبد الله بن جزى نمقها وحررها بأمر السلطان ابي عنان وكان البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق وقال انه بقي الى سنة سبعين ومات » .

---

(١) اخوه الذي حبس نفسه معه اسمه عبد الرحمن وترجمته في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٢٩)

والقاعدة عند علماء الحديث وأصوله ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والجرح مقدم على التعديل فتبين بهذه النقول التاريخية وبما ذكره الحافظ ابن حجر ان هذه القصة مكذوبة على ابن تيمية وانه بريء منها ·

وقد ظفرت في مجموع مخطوط بقصيدة من نظم شيخ الاسلام ابن تيمية تعرب عن عقيدته فأحببت ذكرها هنا وهي :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رُزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع مقال محقق لا ينثني عن قوله يوماً ولا يتحول
حب الصحابة مذهبي لي مذهب ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدم علت وفضائل لكنما الصدّيق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل
وصحيح أخبار الصفات أمِرّها حقاً كما ذكر الطراز الأول
وارد عهدتها الى نقالها وأصونها عن كل ما يتخيل
واقول قال الله جل جلاله والمصطفى الهادي ولا اتأول
قبحاً لمن نبذ القران وراءه واذا استدل يقول قال الأخطل[1]
واقر بالميزان والحوض الذي أرجو بأني منه رياً انهل
وكذا الصراط على جهنم مدّه فمسلم ناج وآخر مهمل
والنار يصلاها الشقي بحكمة وكذا التقي الى الجنان سيدخل
والمؤمنون يرون حقاً ربهم والى السماء بغير كيف ينزل
ولكل حي عامل في قبره عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك وابي حنيفة ثم احمد ينقل
فان اتبعت سبيلهم فموفق وان ابتدعت فما عليك معول

محمد راغب الطباخ

(١) أشارة الى البيت المشهور المنسوب الى الاخطل وهو

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

عشائر الشام (١)

-٢-

تاريخ البدو . — نشأت العشائر في الطبقات الثلاث المذكورة المنتشرة في بوادي العراق والشام ومصر وأريافها من أواسط الجزيرة العربية «الحجاز ونجد» وكانت تهاجر على هيئة موجات تتابع ورودها منذ مئات السنين ولا تزال حتى يومنا هذا . وتعزى هذه الهجرات الى انه في كل قرن او قرنين يزداد عدد سكان تلك الاواسط وتضيق بوفرة مواليدها فتصير مواردها ومعاطنها غير كافية لسد الحاجة ، او تأتي أعوام قحط جائحة او تحدث فتن شعواء بين أولئك السكان فتضطر موجة منها الى ان تنزح وتزحف نحو الشمال وتفتش عن بقاع اوسع وفياف أمرع ، فلا تجد ذلك الا في اطراف الاقطار المذكورة . فالموجة القادمة اذا وجدت أمامها عشيرةً سبقتها في الهجرة تسعى لدفعها واحتلال مكانها بالقوة والغلبة . فاذا ظفرت تضطر السابقة المغلوبة الى مزاحمة الاسبق والاضعف منها ، وهكذا يزحم المتأخر المتقدم والقوي الضعيف كل في نوبته وينازعه على منزله ومرتعه . وحينما يحرم المغلوب مجال النجعة يترك رعي الابل ان كان من الطبقة الاولى وينصرف لرعي الغنم فيصير من أهل الطبقة الثانية ، ثم اذا ازداد الضغط وضاقت المراعي القريبة يترك الغنم وينصرف الى الحرث والزرع فيصير من أهل الطبقة الثالثة ، ومن هذه يتدرج الى التحضر والاستقرار التامين .

وقد ذكر المؤرخون ان البدو كانوا يفدون الى الشام (بلاد الخمر والخمير والديباج والحرير) منذ القرن الأول للميلاد وان أقدم من عرف من قبائلهم الوافدة الى شماله هم التنوخيون والى وسطه الضجاعم من سليح وهم بطن من قضاعة . ولم يزل هؤلاء سادة بوادي الشام حتى جاء الغساسنة في أواخر القرن الرابع الميلادي واستظهروا

(١) انظر مجلة المجمع م ١٦ ص ٦٦٧

على الضجاعم وعظم شأنهم وحالفوا الرومان وصاروا عمالهم على أبناء قومهم العرب الضاربين في تلك البوادي كما كان اللخميون المناذرة حلفاء الفرس وعمالهم على عرب بوادي العراق ولم يأت القرن السادس للميلاد حتى وصلت القبائل العربية شمالاً إلى الجزيرة الفراتية واستقرت فيهـا على نحو ماعملته ربيعة ومضر وبكر فسميت تلك الديار باسمها حتى الآن ولما فتح المسلمون الشام وجدوا فيه من القبائل العربية المتنصرة قبائل لخم وجذام وكلب وعاملة وبهراء وغسان وتنوخ وتغلب ·

وقد زادت هجرات القبائل بعد الفتح الاسلامي إلى العراق والشام ومصر وانتشرت في هذه الأقطار · وإذ كان بحثنا منحصراً في اعراب الشام نقول ان قسماً من تلك القبائل تدير وقتئذ بعض بقاع الشام واختلط بالشعوب الشامية القديمة فادمجها في قوميته وانطقها بلغته ومن لم يتحضر وفضل عيش البداوة ظل يضرب في بوادي الشام وأريافه ويشترك في أحداثه وكوارثه مسيئاً تارة ومحسناً أخرى وقد ذكر المؤرخون أسماء بعض من كان من هؤلاء خلال القرون الثلاثة الأولى في عهد الأمويين والعباسيين كبني كلاب وبني القين وبني نمير وبني عقيل وبني مخزوم كما ظلوا يذكرون من حين إلى آخر في سياق الأخبار أسماء بعض الرجال من القبائل المتنصرة المذكورة وقد أسلم معظمها بعدئذ واشترك في الفتوح ·

ثم عظم شأن بعض هذه القبائل وأسس دويلات في زمن ضعف الخلفاء العباسيين والفاطميين · وكان أشهرهم بني حمدان التغلبيين في حلب · وقد عد ابن خلدون من القبائل التي كانت منتشرة في القرن الرابع مابين الشام والجزيرة بني طيء وبني كلاب وبني كعب وبني العجلان وبني عقيل وبني قشير « كانوا كالرعايا لبني حمدان أصحاب حلب يؤدون إليهم الاتاوات وينفرون معهم في الغزوات » · وقد شق بعض هؤلاء عصا الطاعة على سيف الدولة بن حمدان وعاثوا في اعماله وهو يداريهم لاشتغاله بحروب الروم وهم يتنمرون شأن البدو كلما رأوا انشغال ذوي السلطان عنهم أو ضعفهم ولما عيل صبره منهم هاجمهم وأوقع بهم في مروج سلمية

ثم لحق بهم إلى الفرقلس والغنثر والجباة « ثلاث قرى في سيف بادية حمص » وإلى تدمر وأرك والسخنة فبدد شملهم وردم آبارهم حتى استأمنوا وبذلوا له طاعتهم وللمتنبي الشاعر قصيدة رائعة في وصف هذه المواقع مطلعها : « طوال قنًا تطاعنها قصار » . وله قصيدة أخرى يشفع ببني كلاب في موقعة أخرى في نواحي بالس « شرقي حلب على الفرات » مطلعها : « بغيرك راعياً عبث الذئاب » .

ويظهر أن اعراض الخلفاء العباسيين والفاطميين عن بني قومهم العرب وخوفهم من عصبيتهم وشدة شكيمتهم واستخدامهم الترك والديلم في جيوشهم ومناصب دولتهم قد فت في عضد العرب عامةً والبدو خاصةً وأبعدهم عن المساهمة في الامرة والقيادة وصرف القبائل نحو البادية وخشونتها وجعلهم يثورون ويحتجنون الحكم والسيطرة في بعض الأماكن والأزمان كما اهتبلوا الغرر . فقد استفحل أمر القبائل عند فشل دولة بني حمدان في القرن الخامس وتقاسموا مناطق السيطرة في الشام . فكان شماله من حصة بني مرداس الكلابيين ووسطه لبني عليان الكلبيين وجنوبه لبني الجراح الطائيين ، ثم ورث بنو عقيل ملك الشمال من بني مرداس إلى أن قضى عليهم السلجوقيون فانتهت بهم سيادة العرب الحضر في مدن الشام .

أما بقية القبائل التي ظلت بادية فقد ضعف شأنها وخمل ذكرها فمنها من ظل يضرب في فيافي الجزيرة العربية ومنها من اندمج في بني طيئ لما عظم شأنهم في شمالي الشام وصاروا رؤساء البادية .

ويظهر أنه كان في عهود الدول الإسلامية الغابرة رئاسة عليا على بادية الشام باسم (أمير عرب الشام) ونالها بعضهم باسم (ملك العرب) ، وكانت هذه الوظيفة وكذلك إمارات بقية العشائر توجه بمراسيم شريفة ، ذكر القلقشندي في صبح الأعشى عدة نماذج منها ، وكان يطلب من أصحابها أن يقوموا بحفظ السابلة أيام السلم ويمنعوا أعرابهم من العيث والنهب وأن يتأهبوا للجهاد ويعاونوا العساكر السلطانية أيام الحرب وأن لايفارقوا البلاد ولا ينجعوا (حتى يعبس في وجهها السحاب ، ولا يعودوا حتى تؤذن زروعها المخيمة بذهاب)إلى آخر ماهنالك من الأوامر والقيود .

وهذا يدل على أن قبائل البدو في عهد الملوك الايوبيين والسلاطين المماليك كانت — على خلاف عهد العثمانيين التي أهملت فيه — مقيدة بتقاليد ومكافة بواجباب إدارية وحربية تكافأ إذا برت بها وتعاقب إذا خترت .

وصارت الرياسة في طيئ إلى بني ربيعة . قالوا : وكان ربيعة امير عرب الشام في القرن السادس في عهد الأتابك طغتكين ، ثم خلفه في الامارة ابنه مراء بن ربيعة الذي ذكر له أبو الفداء (ج ٢ ص ٢٤٣) معركة مع الصليبيين انتصر عليهم فيها . ثم انقسم آل ربيعة إلى ثلاثة أفخاذ ، ولكل من الثلاثة أمير مختص به وهم آل فضل بن ربيعة وآل مراء بن ربيعة وهو أخو فضل وآل علي بن حديثة بن عقبة بن فضل وكانت منازل آل فضل في الشمال من حمص إلى وادي الفرات وأطراف العراق ومنازل آل مراء في حوران والجولان ومنازل آل علي في مرج دمشق وغوطتها ولكل من الثلاثة لواحق من أفاريق الأعراب في تلك الأزمان . أما المنزلة الكبرى والرئاسة العليا فقد كانت في يد آل فضل وهم كما قال القلقشندي (اتصلوا برجال السلطنة فولوهم على احياء العرب واقطعوهم على إصلاح السابلة بين الشام والعراق فاستظهروا برياستهم على آل مراء وغلبوهم على المشاتي ... الخ) .

وفي زمن الملك العادل أبي بكر كانت الأمرة على اعراب بادية الشام في يد أحد أمراء آل فضل واسمه مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ولما توفي مانع سنة ٦٣٠ ولي عليهم ابنه مهنا فحضر هذا مع المظفر قطز قتال جيش التتار سنة ٦٥٨ في عين جالوت (غور بيسان) فأجازه قطز بسلمية نزعها من الملك المنصور بن الملك المظفر التقوي الأيوبي صاحب حماة وأقطعها له (أبوالفداء ج ٣ ص ٢١٤) ، ثم ولى الملك الظاهر بيبرس ابنه عيسى ووفر له الاقطاعات على حفظ السابلة . وعيسى هذا على ماذكره ابن اياس في تاريخه (ج ١ ص ١٠٢) هو الذي جاء بالإمام أحمد العباسي بعد حادثة هولاكو في بغداد وكان مختبئاً عند اناس من قبيلته وأوصله إلى مصر إلى الملك الظاهر بيبرس وشهد هو وقومه أنه من نسل العباسيين فبويع له بالخلافة واستمرت هذه الخلافة الشكلية فيه

وأعقابه إلى أن استخلصها منهم السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ . وقد كانت لعيسى هذا منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بيبرس ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون وسماه ملك العرب وزاد في إقطاعه لحسن سيرته ولأنه في وقعة الملك المنصور مع التتار بحمص سنة ٦٨٠ جاء وقت الوقعة بعربه من سلمية واعترض التتار من خلفهم فتمت هزيمة التتار به . ولعل عيسى هذا هو الذي قال عنه كاتب جلبي المتوفى في سنة ١٠٦٨ في جغرافيته (جهان نما) انه كان في هذه المعركة العظيمة حاملاً ريشة على رأسه فلقب بأبي ريشة وأنه هو الذي نال من الملك المنصور قلاوون عطاءً عظيماً فاشترى به عبيداً ومماليك اعتقوا بعد حين ودعوا بالموالي وبقيت أعقابهم إلى يومنا هذا ملتفة حول هؤلاء الأمراء آل أبي ريشة وانضم إليهم بعد عدد من شذاذ الأعراب اندمجوا في لفيفهم وحلفهم . فكان من مجموعهم (عشيرة الموالي) المستقرة في قضاء المعرة .

وبعد أن توفى الأمير عيسى ودفن في مقبرة الشيخ فرج شمالي سلمية على ماجاء في شذرات الذهب (ج٦ ص ٢٢) انقسم آل فضل إلى عدة أفخاذ أشهرها فخذ عيسى المذكور ، ولى الملك المنصور قلاوون من اولاده مهنا في الامارة فصار كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وحماة وتدمر بل امير بوادي الشام والعراق كلها .

وقد ردد ابو الفداء وابن الوردي في تاريخيهما والمقريزي في خططه ماكان للأمير مهنا بن عيسى في اواخر القرن السابع وأوائل الثامن من المكانة لدى سلاطين مصر ونوابهم في الشام وذكروا تدخله في بعض أمور الدولة ، وان من حسناته شفاعته للإمام احمد بن تيمية وسعيه لإخراجه من سجنه في قلعة مصر ثم التماسه نصب ابي الفداء ملكاً على حماة ، وعدوا من سيئاته وثباته وغاراته العديدة وانحيازه إلى ملوك العراق المغوليين . ثم فصل المؤرخون الخراب والدمار اللذين أتى بهما اولاده (آل مهنا) وأولاد اخوته واعقابهم في القرن الثامن مما أدى لخراب سلمية واعمال حماة والمعرة وحلب وكان له أثر كبير في تاريخ تلك الحقبة وما بعدها .

وكان حيَّار احد ابناء مهنا بن عيسى المذكور — وهو ممن لقيهم الرحالة ابن بطوطة في طريقه إلى الحج وضبط اسمه بالحاء المهملة — تقلد امارة البادية مدة ثم أورثها لأبنائه وأعقابه فعلا اسم آل الحيار وخمل اسم غيرهم من ابناء عمومتهم آل مهنا أو آل عيسى أو آل الفضل ، شأن العشائر التي تتبدل أسماؤها في كل قرن او قرنين تبعاً للمتأمر عليها ، وقد تسمي باسم اميرها او شيخها ثم باسم كل من أبنائه بعد وفاة الأب إذا انفصلت عن الأرومة وتفرعت كما جرى بآل فضل وآل عيسى المذكورين .

وقد ظلت الأمارة في يد آل الحيار طوال القرنين التاسع والعاشر وكان لهم سلطان على العشائر ، وقد ترجمهم القلقشندي في صبح الأعشى وابن تغري بردي في المنهل الصافي إلى أن ظهر في القرن الحادي عشر اسم آل أبي ريشة من فرق الحياريين ثم ظهر اسم الموالي . وقد وصل بعض المؤرخين كحيدر الشهابي والمحبي والمرادي وكاتب جلبي ونعيما الحلبي سلسلة أمراء الموالي الحاضرين والمعروفين الآن باسم آل أبي ريشة بالحياريين . واذن يكون هؤلاء الأمراء من أعقاب حيار بن مهنا بن عيسى آل الفضل الربيعي الطائي ، لا كما يزعمون ويزعم لهم بعضهم أنهم من نسل العباسيين . ومثلهم في هذا الزعم أمراء عشيرة الفضل في الجولان فهم من أعقاب (آل فضل) المذكورين ، لا من العباسيين وقد احتفظوا فيما يظهر باسم الجد الأعلى بعد ان نزحوا من انحاء سلمية وفارقوا أبناء عمومتهم وتديروا الجولان منذ قرون .

هذا وآخر الهجرات البدوية الكبيرة من أنحاء نجد نحو العراق والشام هي هجرة قبائل شمر في أواسط القرن الحادي عشر ، ثم هجرة قبائل عنزة في أواسط القرن الثاني عشر .

أصناف البدو . — إن العنصر الأول في المجتمع البدوي هو (البيت) ويعنون به العائلة . فالبيت يتألف من الرجل وامرأته وأولادهما العزب . لأن الولد إذا تزوج يضرب لنفسه خيمةً جديدةً على مقربةٍ من أبويه أي أنه

يؤسس بيتاً حديثاً يسمى باسمه . والعائلات او البيوت القريب بعضها من بعض تؤلف (الآل) أو (الرهط) مثل آل المشهور من فندة الشعلان في الرولة ومثل آل مهيد من فندة المانع في الفدعان . وتجتمع الأرهاط فتؤلف (الفرقة) أو (الفندة) وجمعها فرق أو افناد مثل فندة الشعلان وفندة المانع المذكورتين . والفندة في الأصل عدة ارهاط من جد قريب لايكاد يتجاوز الخامس في الغالب . وتجتمع الأفناد فتكون (العشيرة) او (الفخذ) مثل عشيرة الرولة وعشيرة الفدعان في عنزة . وتجتمع العشائر فتكون (البطن) او (الضنا) مثل ضنا مسلم وضنا بشر في عنزة . وتجتمع البطون فتؤلف (القبيلة) مثل شمر وعنزة . وقد يتساهل في التعبير فتسمى العشيرة قبيلة . ويزعم رواة البدو ان القبيلة إنما تنشأ من جد عام يورث اسمه إلى قبيلته كبني صخر وبني خالد وغيرهم . والعشيرة تعترف بشيخ واحد . على أن اعترافها لايتجاوز القضايا العامة . وعدد بيوت العشيرة يختلف كثيراً . فقد يكون الفي بيت او ثلاثة آلاف بيت كما هو الحال في الرولة والاسبعة ، وقد يهبط هذا العدد إلى مئه وربما إلى خمسين كما هو الحال في بعض عشائر الطبقة الثالثة . وكلمة ضنا اختصت بقبيلة عنزة دون غيرها وقد رتبنا العشائر ووصفناها بحسب المناطق الجغرافية في الشام فبدأنا بأنحاء دمشق وانتهينا بأنحاء الجزيرة .

المشيخة وشروطها . — ويكون على رأس كل عشيرة رئيس يدعى شيخاً . وقد يكون هذا صغير السن دون العشرين ولا يرث ابن الشيخ المشيخة اذا لم تتوفر فيه الشروط . ولا ينال هذه إلا من كان ازكى رجال العشيرة واكثرهم معرفةً وبلاغةً وافرسهم يوم النزال واغناهم بالرزق والمال وابسطهم يداً بالكرم واقراء الضيف واوفرهم بعدد الأقارب والأنسباء . وتشمل سلطة الشيخ إعلان الحرب او عقد الصلح بعد أخذ رأي شيوخ العشيرة والأمر بالرحيل او النزول حين النجعة والظعن وحل الخلافات والمنازعات التي لاتحتاج لمراجعة القاضي (العارفة) وإدامة الوئام والألفة بين أبناء العشيرة واسترداد الأشياء المسلوبة وحماية الضعفاء والموافقة على عقود الزواج والطلاق وسلطة الشيخ مها كانت بعيدة المدى ليست مطلقة بل محدودة بحقوق الملكية الشخصية .

يتبع

وصفي زكريا

طاغور شاعر الهند

لو أن نبياً من أنبياء العصور الأول قد حلّ في هذه الأرض في عصرنا المتأخر، ما اختار من بقاع المعمورة موطئاً لقدميه غير هذا الشرق الذي لايزال مبعث السحر ومصدر الروحانية والإيمان، وما تقمص شكلاً إلا جسد طاغور بطلعته المهيبة، وملامحه الوادعة الرزينة، وشعره المتهدل، ولحيته الكثة، وعينيه الواسعتين اللتين تشعان ببريق غريب يغمر النفوس خشوعاً ويستهوي الألباب.

ذالكم رابندرانات طاغور شاعر الهند الأكبر الذي أدركته منيته في اليوم السابع من شهر آب في كلكتة من أعمال البنغال، وكانت هذه المدينة نفسها قد شهدت مولده منذ ثمانين سنة في اليوم السادس من أيار سنة ١٨٦١.

نشأ الفتى طاغور في كنف أسرة جمعت الجاه واليسار إلى العلم وحب الإصلاح فكان جده وأبوه من زعماء البراهمة الذين إدركوا جمود الهندكية فسعوا جهدهم لتهذيبها وابراز لبابها دون قشورها واعادتها إلى الينبوع الصافي الذي تحدرت منه. وقد ملكت هذه النزعة الإصلاحية مشاعر الصبي النابغة، كما أشربت نفسه مبادئ الصوفية البرهمية التي تقدس مظاهر الطبيعة وتدمج الكون بالقوة المبدعة العظمى. وكيف لا تكون هذه العقيدة المنتزعة من صميم الروح الهندية جبلة في هذا الفتى المتحدّر من اعرق الأرومات البرهمية، وهو قد درج في هذه البيئة التي توحي بالعظمة والخشوع وتجذب المخلوق نحو الخالق، في هذه الأراضي المترامية الأطراف، الطافحة بالمياه الغزيرة المتدفقة، المتموجة بالألوان الزاهية الخلابة، الخاضعة لعناصر الطبيعة الهوج من مطر وابل وحر لافح، الزاخرة بالحياة النباتية والحيوانية الوافرة؟

شد الفتى طاغور رحاله الى الربوع الانكليزية لينهل من علومها وعمره لايتجاوز الستة عشر ربيعاً، لكنه لم يصبر على دراسة القانون فيها كما أريد علي ذلك، بل اكتفى باتقان لغتها والتزوّد من أدبها. ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث أكب على

التبحر في علوم الهند وآدابها ، وأخذ يكتب وينظم ، فلم يلبث أن ابتكر لنفسه طريقة في الشعر طريفة اقتبسهامن صميم البرهمية وأسبغ عليها من روحه صفة خاصة ميزتها وحببتها إلى النفوس . وأسس في سنة ١٩٠١ مدرسة على مقربة من كلكتة أطلق عليها اسم « مغنى السلام » لتخريج النشء البنغالي على أسلوب جديد يقرب بين الماديات والروحيات ويجمع العمل إلى نزعات التصوف والتأمل . وكانت حياة الشاعر بعد ذلك ملأى زاخرة ، فوضع التآليف والدواوين العديدة ، وجاب انحاء اوربة وأميركة والمشرقين . وقد نقلت أشعاره إلى الانكليزية وسواها من اللغات الحية ، فافتتن العالم الغربي الغارق في حضارته المادية بهذه الأناشيد الروحية الساذجة المنبعثة من أعماق الشرق البعيد . وطبقت شهرة قائلها الآفاق وخلعت عليه القاب العلم والشرف ومنح جائزة نوبل العالمية للآداب ، وهي جائزة لم ينلها من الأدباء الشرقيين سواه .

وقد زار طاغور بغداد في شهر أيار ١٩٣٢ بدعوة من الملك فيصل الأول طيب الله ثراه ، فأتيح لي شرف التعرف به والتحدث اليه ، إذ انتدبت لاستقباله بالنيابة عن وزارة الخارجية ، واجتمعت به أثناء مكوثه في العاصمة العراقية مرات .

احتفت عاصمة الرشيد بشاعر الهند أيما احتفاء ، وأقامت له المآدب والحفلات وكان شاعر العراق المرحوم جميل الزهاوي على رأس اللجنة التي تولت اكرام وفادته ، فكان اجتماع الشاعرين مثيراً لأرق المشاعر في نفسيهما على الرغم من افتقارهما إلى أداة التفاهم اللسانية . واذا كانت مأدبة عاهل العراق العظيم لضيفه الشاعر قد رمزت إلى جلال الملك وكرامة القريض ، فإن حفلة أدباء العاصمة في مساء ٢٢ أيار قد مثلت تكريم مدينة السلام للشعر والأدب في شخص هذا الشاعر الزائر . ولقد ظفر شهود تلك الحفلة برؤية شاعر الهند وشاعر العرب مجتمعين إلى مائدة واحدة وسماعها ينشدان قصيدهما كل بلسانه المختار . وأي بون بين هذين الشيخين الملهمين ، الفتيين بروحيهما ، المتشابهين بشعرهما المسترسل المشتعل شيباً ! لقد مثل الأول الوقار والرزانة ، فوقف يلقي شعره وكأنه قد غاب روحاً

وجسماً في مناجاته حتى لم يبد حراكاً ، وانبعث صوته من قرار ذاته هادئ النبرات ، رتيب النغمات ، رقيق الخلجات . اما شاعر العراق فمثل الطموح والاندفاع فانطلق جسده المبتلي بالشلل في حركات متدافعة متعاقبة ، وارتفعت عقيرته بصرخات ساميات يضبطها إيقاع الوزن ورنين القافية . ولئن كان الشيخ الهندي قد رمز بسكونه الى وقار الشرق الخالد وحكمته ، فقد كان الشيخ العراقي رمزاً الى انعتاق الشرق المتوثب واشتياقه إلى النهضة والحياة .

إن العراق قد عرف لشاعر الهند قدره كما عرفه له العالم الغربي . ولعلنا نتساءل عن السر في هذا التقدير الاوربي والأميركي للنبوغ الشرقي ، فجدير بنا أن نعلم أن الهند تكبر طاغورها وتعظم شأنه لعوامل تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التي تحدو بالغرب إلى اكباره والاعجاب به : فالهند تحترم شاعرها قبل كل شيء لمنزلته في العالم المتمدن ، كما تكبر فيه نزعته الاصلاحية . فهو قد رمى في القول والعمل الى تهذيب الشوائب العالقة بالبرهمية التي يدين بها القسم الأكبر من الهنود ، ورفع مستوى الحياة الشعبية وانقاذها مما يخيم عليها من جهل وخمول ، وازالة الفوارق التي تباعد بين الطبقات الهندية فتجور على أدناها وتشل الحياة القومية والوطنية . وقد حاول هذا الشاعر الفيلسوف ان يطلق دين آبائه وأجداده من قيود التنافر والجمود ، وان ينزع به نزعة جديدة تفسح لأتباعه مجال الاخذ بالحضارة العملية الحديثة وتسمو بهم في الوقت نفسه إلى مراقي التأمل الروحي والانطلاق الفكري . وحاول هذا الشاعر العامل بعد ذلك أن يحسن معيشة أبناء وطنه من حيث الصحة والعلم والرفاهية ، ليقضي على الآفات التي تنخر جسم الأمة من مرض وجهل وبؤس مدقع ، فعرف له أبناء وطنه هذه المنة ، وترنموا بشعره الذي يعرب عن هذه الرغبات الاصلاحية الجياشة ويفصح عن سعادة النفس بالطبيعه الساذجة ، الراضية بوداعتها ، المطمئنة الى الحياة .

أما الغرب المسحور بطاغور فقد أخذ بترانيم غير مألوفة غمرت اجواءه بفيض

من الهدوء والسكينة في وسط هذا العالم المضطرب ، المصطخب ، المتلاطم الأمواج .
ولعلّ النغمة التي خلب بها الغرب لم تكن من ابداع طاغور وان أوقعها على قيثارته : فهذه النغمه تمت الى الصوفية البرهمية بسبب وثيق ، وقد انتزعها الشاعر الهندي من آيات دينه القديم ، واستلهمها من خوالج روحه الثملة ، فكساها حللا قشيبة زاهية تقرب من أذهان الغربيين المعاصرين وتحبب الى نفوسهم الظامئة .

إن البرهمية دين قديم تطورت عقائده وشعائره على مرّ الأزمان ، وقد ألّه منذ أحقاب بعيدة قوى الطبيعة الخارقة متشخصةً في كائنات سلمية تشرف من عليائها على هذا الكون الذي اقتطعته من ذاتها المعبودة وبسطت عليه أجنحة هيمنتها وسلطانها . واذا كان الدين الهندكي قد قسم أشياعه الى طبقات عالية وسافلة ، فإنه قد خصّ اعلاها مرتبة — وهي طبقة البراهمة — برفعة كان لزاما أن تنزع بها الى مثل أعلى ، وسيلته التسامي بالنفس وكبح جماح أهوائها والتبحر في المعرفة الإلهية بالدرس والتأمل والتقشف ، وغايته تطهير النفس من ادرانها والانفلات من قيود المادة والفناء في الذات الصمدانية . وقد وعد المختارون الاقلون الذين يبلغون في هذا المسلك مرتبة الكمال بالتحرر من العودة الجسمانية الى الحياة الدنيا وفاقاً لمبدأ التناسخ ، والاندماج بالكون الأعظم حالما ينطلقون من أسر الجسد الفاني .

وقد انتزع طاغور فلسفته وتصوفه من هذه العقائد بعد تعديل وتنقيح ، واستطاع أن يصبّ تلك الفلسفة وهذا التصوف في الحان عذبة ساذجة أخاذة . فتغنى بشوق المخلوق الضعيف الى المبدع الأعظم ، وظمأه الى استكناه الحقيقة الازلية ، ونزوعه الى الانطلاق من عقال المادة التي تربطه بالحضيض الأوهد والسمو الى عالم الروح الخالص حيث النشوة الخالدة والسعادة السرمدية . وأفصح الشاعر في أغاريده أيضاً عن العواطف الجائشة بين جوانح الإنسيّ الواهن ، من حب وبغض ورغبة ورهبة وطموح وقصور وشك ويقين وحيرة وطمأنينة وشقاء وهناءة ، ووصف الطبيعة في حاليها من الحركة والسكون ، حين تضطرب بعناصرها

وهوامها وطيرها وحيوانها أو حين يخشاها هدوء الوجود الاعظم فتمتلكها الدعة والخشوع ...

لكن شعر طاغور لم يقتصر على تلك المنازع الصوفية والفلسفية بل تعداها الى موضوعات عديدة أوثق وشائج بالحياة البشرية ، فصور القرية والمدينة والطفولة والكهولة وغير ذلك من الشؤون التي لاتحصيها هذه العجالة . وآمن طاغور بتآلف البشر وتآخي الشعوب ، فدعا الى التعارف والتآزر وتوسل بالأدب الى إزالة الضغائن والقضاء على الفوارق وتوحيد الكلمة على التعاون والتقارب . فلا بدع أن أصبح هذا الشاعر الهندي شاعراً انسانياً تردد ألحانه بمختلف اللغات واللهجات ، وتستعذب أشعاره في المشرق والمغرب ، ويقرن اسمه في حياته بالأقلية المختارة من النوابغ العالميين الذين استطلعوا خفايا الوجود ورتلوا أناشيد الخلود .

إن الحضارة الغربية الرازحة تحت أعباء المادة قد شخصت ببصرها نحو الشرق منزل الوحي ومبعث الالهام ، فلما بلغت مسامعها أشعار طاغور ، أرهفت أذنيها مصغية الى هذه الأنغام الروحية المستلذة ، الآتية من عالم بعيد .

بغداد : **صبر البصري**

جامع التواريخ [1]

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٣ —

حدثنا أبو الحسين الحارثي النهرسابسي [2] قال حدثني شيخ من شيوخنا:
أن أبا جعفر بن الشلمغاني كان في نهاية الاختصاص بحامد بن العباس، فلما وزر أخذ به معه الى بغداد، وكان يدخله في آرائه ويشاوره في مهماته ويوسطه كبار الأمور. قال فلما جرى من حامد على المحسِّن بن الفرات تلك القضية الشديدة، كتب الى ابن الشلمغاني يسأله مسألة حامدٍ الرفق به والتقدم الى المستخرج [3] بالتوقف عن ضربه واذلاله ليؤدي على مهل، فتكفل ابن الشلمغاني بأمره وخاطب حامد بن العباس في ذلك، فردَّه، فعاوده في مجلس حافل، ولجَّ حامد، ولجَّ ابن الشلمغاني، الى أن قال حامد: هاتم [4] المحسِّن ابن كذا وكذا وهاتم الغلمان والمقارع، قال فقبَّل ابن الشلمغاني يده، فلم

(١) قدم عهد القارئ بما نشر من هذا الكتاب في المجلة فليراجع المجلد الثاني عشر ص ٣٦٧ من هذه المجلة حيث كانت البداءة بنشر هذا الجزء الثاني من النشوار بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم الاستاذ د. س. مرجليوث. (٢) نسبة إلى (نهرسابس) وهي قرية بنواحي الكوفة كما في انساب السمعاني و: ٥٧٣.

(٣) المستخرج هو الموكول اليه أمر تحصيل المال ممن صودر.

(٤) هاتم بمعنى هاتوا وهي عامية.

يقنع وحلف انه لابد أن يصفعه ويضرب به في ذلك المجلس . وتوجه الغلمان ليجيئوا به ، فلما عادوا ومعهم المحسّن ، قام ابن الشلمغاني من قبل ان يدخل المحسّن وانصرف ، فاستشاط حامد وجن وكادأن يقبض على ابن الشلمغاني ويوقع به ثم استرجع ، وأخرج غيظه على المحسّن وصفعه الصفع المشهور — الذي كان سبب قتل المحسّن له لماولي أبوه الوزارة الثالثة — قال ونهض ابن الشلمغاني فدخل الى دار حجبة حامد مغموماً وأخذ يشكو مايجده الى الحاجب ويتشاكيان ويقول : هذا الرجل يريدأن يقتلنا كلنابعده وأن لايبقي لنا باقية ، ياقوم ! أي شيء نعمل بنفسه ؟ قال فهو كذلك ؛ اذ دعا حامد بحاجبه وقد قام عن مجلسه ورد حامد المحسّن الى محبسه بعد ماجرى . وقال للحاجب : ويحك أين ابن الشلمغاني ؟ فقال عندي في الحجرة ، قال فما قال ؟ قال لم يقل شيئاً . فأمسك كالخجل ، ثم قال : هاته ؛ فلما جاء قال ياأبا جعفر من حق مودتي لك أن تتوافا [1] لأعدائي وتقوم عن مجلسي اذا رأيتني أوقع بأعدائي ؟ فقال ننصف أو نقول صدق الأمير ؟ قال اسمع وانصف . [قال] أيها الوزير هذا رجل سألتك فيه فاعمل [2] انه كان بقالاً لابن وزير أنت تعلم حالته وقديم رياسته ، فما كان يحسن ان تردني فيه ، ولا ان رددتني تسومني الجلوس وحضور من شفعت فيه ، ثم أنت تعلم أن الأيام دول وان لهذا الفعل عاقبة يكفيك الله إياها ، فأي شيء يضرك من سلامة مهجتي في حال العافية وافلات نعمتي من شر هؤلاء وان يقولوا غداً اذا هنانا [3] ولم يشفع لنا ولو كان نصحنا

(١) لم نجد له معنى مناسبا هنا ولعله من الوفاء .
(٢) كأنه يريد معنى افرض وقدّر (٣) لعله انا أُهنّا

ماخالفه الوزير معها بينهما ، وما قعد ليشاهد صفعنا الا تشفيًا منا ، وأُسيء شيء أحسن بك أن تنسب حاشيتك ومن اخترته لمودتك وأنسك الى الخير وبعدك من الشر ، فيقال انه لو لم يكن خيراً لما استصحب الأخيار ، وإنما يحمله على مافعله الغضب والحاجة إلى المال ، والا فالخير طبعه والغالب عليه ، ولا يقال انه شرير جمع الأشرار حواليه ، واعلم اني ما قمت من مجلسك الا وقد وضعت في نفسي أنك تنكبني وعلمت أني قد اسأت أدبي واني غير آمن من عجلتك من نكبتي ، ولكن قلت اكون على حق ومتمسكاً بحجة وحزم وان جنى عليَّ وان سلمت فبفضل الله وان هلكت فالله يخلصني . قال فخجل حامد واعتذر اليه وقال اخرج الآن وخذ بيد المحسن وتوسط أمره وخفف محنته ه

* * *

وجدت بخط المهلبي الوزير كتاباً الى أبي سلمة أهداه الي وقال هذا كتابه اليه وهو بالخط الذي أعرفه وفيه لنفسه :

وصل الكتاب طليعة الوصلِ بغرائب الإفضال والفضلِ
فشكرته شكر الفقير اذا أغناه رب المالِ [١] بالبذل
وحفظته حفظ الأسير اذا [٢] ورد الأمان له من القتل

ووجدت بخط أبي محمد كتاباً الى ابي القاسم بن بلبل كتبت [٣] اليه به وهو صغير الحال جداً وفيه :

طلع الفجر من كتابك عندي فمتى باللقاء [٤] يبدو الصباحُ

(١) في يتيمة الدهر ٢ / ١٥ « المجد » مكان « المال »
(٢) « « « « وقد » مكان « اذا » (٣) لعل صوابه كتب
(٤) « « « ٢ / ١٥ « للقاء » مكان « باللقاء »

ذاك ان تم لي فقد عذب العيـ ... ـش ونيل المنى وريش الجناحُ

وله الى غيره :

جاد لي بالكتاب[1] من صرف دهري ... بكتاب يسرني أو رسولِ

فعلى قدر ما تكلف من وصـ ... ـلي بعلمي بقطعه للوصول

أشكر البذل من جواد وان زا ... د الى البذل جاءني من بخيل

وله أيضاً :

أمثلي ياأخي وشقيق روحي[2] ... يفارق عهده عند الفراقِ

ويسلو سلوة من بَعد بُعد ... وينسبه الشقيق الى الشقاق

واقسم بالعناق وتلك أوفى[3] ... وأشفى من يميني بالعتاق

لقد الصقت بي ظناً ظنيناً ... تجافى جانباه عن الالصاق[4]

وله أيضاً :

فديت أخاً يواصلني بكتب ... أسرَّ من البشارة حين تاتي

أخ لم يرض لي بالوصل حتى ... حباني بالتحية[5] من حياتي

وله أيضاً :

ورد الكتاب فديته من وارد ... فيه[6] لقلبي من حياتي موردُ

فرأيته كالدر نضد عقده ... في كل فصل منه فصل مفرد

✡ ✡ ✡

حدثنا أبو منصور القشوري وكان من الجند المولدين قال : كنت

---

(١) لعله بالعتاق (٢) في معجم الأدباء لياقوت ٩ / ١٣٩ : قسيم نفسي

(٣) في معجم الادباء : فاقسم (٤) في معجم الأدباء : طلباً قبيحاً ، التصاق

(٥) التحية : البقاء (٦) في يتيمة الدهر ٢ / ١٥ « فله » مكان « فيه »

أخدم وانا حدث في دار نصر القشوري المرسومة بالحجبة من دار المقتدر بالله، فركب المقتدر بالله يوماً على غفلة وعبر الى بستان الخلافة المعروف بالزبيدية وأنا مشاهد لذلك في نفر في الخدم والغلمان، وتشاغل أصحاب الموائد والطباخون بحمل الآلات والطعام وتعيينها [١] في الجون فانفلت [٢]، وأعجل هو في طلب العظام [٣]، فقيل له لم يحمل بعد، فقال انظروا ما كان، فخرج الخدم مخفرين [٤] ليس يجسروا يعودوا فيقولوا ماجاء شيء. وهم يتشاورون فيما يفعلونه، فسمعهم جعفر ملاّح طيّار المقتدر فالرئيس [٥] على الملاّحين برسم الخدمة عليهم [٦]، قال فهاتم مامعه، فاخرج من تحت الطيّار جونة مليحة خيازر [٧] لطيفة فيها جدي بارد وسكباج مبرود وبزماورد [٨] وآدام وقطعة مالح منقور [٩] طيبة وأرغفة سميذ جيدة وكل ذلك نظيف، واذا هي جونة تعمل له في منزله في كل يوم، تحمل اليه فيا كلها في موضعه من الطيّار ويلازم الخدمة. فلما حملت الى المقتدر استنظفها وأكل منها واستطاب المالح والآدام فكان أكثر اكله منه. ولحقته الأطعمة من مطبخه فقال ما آكل اليوم الا من طعام جعفر الملاّح، فأتم اكله منه وأمر بتفريق الطعام على من حضر. ثم قال قولوا له هات الحلوا، فقال نحن لانعرف الحلوا، فقال المقتدر ماظننت ان في الدنيا من يأكل طعاماً بلاحلوا بعده، فقال الملاّح

(١) لعله : تعبيتها (٢) لعله : فأثقلت (٣) لعله : الطعام

(٤) لعله : محضرين (٥) لعله فقال للرئيس (٦) لعله سقط مامعناه (معي طعام) (٧) خيازر جمع خيزران (٨) طعام من البيض واللحم فارسي راجع مجلة المجمع م ٣ ص ٣٢٧ (٩) لعله ممقور يقال مقر السمكة المالحة نقعها في الخل.

حلوانا التمر والكُسْب[1] فان تنشط له أحضرته ، قال لا هذا حلوا صعب لا أطيقه فاحضرونا من حلوانا ، فاحضرت عدة جامات فاكل وجلس للشرب ، ثم قال لصاحب المائدة : اعمل في كل يوم جونة تنفق عليها مابين عشرة دنانير الى مائتي درهم وسلّمها الى جعفر الملاّح تكون برسم الطيّار أبداً ، فان ركبت يوماً على غفلة كما ركبت اليوم كانت معدّة ، وإن حان المغرب ولم أركب كانت لجعفر . فعملت الى ان قتل المقتدر ، وكان جعفر يأخذها وربما حاسب عليها الأيام وأخذها دراهم ، وما ركب المقتدر بعدها على غفلة ولا احتاج اليها .

ويشبه هذا مابلغني عن المعتضد انه طلب يوماً لوناً من طعام ، فقيل له ماعمل اليوم ، فانكر ذلك وقال : يجب ان لا يخلو المطبخ من كل شيء حتى اذا طلب لم يتعذر ، ووقع الى ديوان النفقات باقامة ذلك اللون الى ان يرد التوقيع بقطعه ، فكان يصلح وينفق عليه دراهم كثيرة ولا يحضر المائدة توقعاً ان يطلبه فيقدم عند الطلب كما رسم ، فمضى على ذلك سنة ولم يطلبه ، ثم رفعت اليه حسبة وكان يقف بنفسه على حسباناته ، فرأى ما انفق على ذلك اللون في طول السنة فاستهوله وقال استغفر الله ينفق لي من مال المسلمين على لون لم آكله هذا كله انّ هذا لعين السرف ، اقطعوا عمله ولا يقع معاودة لمثل هذا في هذا ولا في غيره . وقالوا كان اللون جزورية فكان يذبح له الطباخ في كل يوم قلوصاً فلذلك عظمت النفقة ، وقالوا بقرة[1] فكان يذبح في كل يوم عجلاً ، وقالوا مضيرة[3] بفراريج كل ذلك سمعته .

(١) هو عصارة الدهن وثفله (٢) لعله بقرية مثل جزورية (٣) المضيرة طعام يتخذ من اللبن الحامض

حدثنا ابو سحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الشاهد المعروف بالطبري قال :حدثنا أبوبكر بن صالح الأبهري الفقيه المالكي وهو باق إلى الآن ومحله مشهور في الورع والعلم،قال: رأيت في المنام رجلاً من الزهاد — ذكره لي — وكأني اطلبه ،فخرج عليّ من بين نخل وعليه فوطتان متزر بإحداهما متشح بالاخرى كأنه سندي ،فقلت له :قل لي شيئًا او عظني بشيء . فقال: قل االهم قصِّر أملي وحسِّن عملي واستنقذني من ذل الطمع .

* * *

وحدثنا قال:حدثنا جعفر الخلدي الصوفي قال :حدثني الخوّاص الصوفي [1] قال: ركبت في البحر مع جماعة من الصوفية ، فلما اوغلنا فيه كسر بنا وركبنا خشباً من خشب المركب ونجا منا جماعة،فوقعنا الى ساحل لاندري أين هو ولا ماهو ،فأقمنا فيه أياماً لانجد ما نقتاته واحسسنا بالهلاك فاجتمعنا وقال بعضنا لبعض: تعالوا حتى نجعل لله عز وجل على انفسنا إن هو خلصنا من هذا المكان واجباً أن ندع له شيئاً،فقال بعضنا :لاافطر الدهر، وقال بعضنا: اصلي كل يوم كذا وكذا ركعة،وقال بعضنا: ادع الكذاب ،إلى أن قال كل واحد من الجماعة شيئاً ،وقالوا لي:ماتقول أنت؟فقلت:لاآكل لحم فيل أبداً ،فقالوا :ماهذا الهزل في مثل هذا الموضع ؟فقلت :والله ماتعمدت الهزل ولكني منذ بدأتم اعرض على نفسي شيئاً ادعه لله عز وجل ،فلا تطاوعني نفسي الى غير هذا الذي لفظت به ،وما قلت إلا مااعتقدته .فقالوا لعل لهذا أمراً . وتفرقنا بعد ساعة نطوف تلك الأرض نطلب شيئاً للأكل ،فوقعنا على فرخ

(١) الفرج بعد الشدة ٢ / ٧٣

فيل في نهاية السمن، فأخذه أصحابنا واحتالوا فيه[1] حتى ذبحوه وشووه، وقالوا تقدم فكل، فقلت منذ الساعة تركته لله عز وجل، ولعل ذلك الذي جرى على لساني من ذكره انما هو سبب موتي لأني لم آكل منذ أيام شيئاً، ولا أطمع في شيء آخر آكله وما يراني الله انقض[2] عهده فكلوا، واعتزلتهم. فأكلوا وشبعوا وعاشوا وأقبل الليل فتفرقوا في مواضعهم التي كانوا يبيتون فيها واويت الى أصل شجرة كنت ابيت عندها، فلم يكن الا ساعة واذا بفيل أقبل من الموضع الذي استخرجنا منه الفرخ، وهو ينعر والصحراء قد امتلأت بنعيره وشدة وطأته وهو يطلبنا، فقال بعضنا البعض: قد حضر الأجل، فاستسلموا وطرحوا أنفسهم الى الأرض على وجوههم، فجاء الفيل وجعل يقصد واحداً واحداً فيشمه من أول جسده الى آخره فاذا لم يبق منه موضع الاشمة شال احدى قوائمه فوضعها على الرجل حتى يفسخه فاذا علم أنه قد تلف شال قائمته وقصد الآخر ففعل به مثل فعله بالأول، على هذا إلى أن لم يبق غيري وأنا جالس منتصب أشاهد مايجري وأدعو واستغفر ماطرحت نفسي ولا هربت الى أن قصدني، فحين قرب مني طرحت نفسي على ظهري فجاء حتى تشممني من سائر أعضائي او اكثرها كما فعل بأصحابي ثم أعاد تشممي مرتين أو ثلاثاً ولم يكن فعل ذلك بهم، ثم لف خرطومه علي وشالني في الهواء فقلت هذه قتلة اخرى يريد ان يقتلني بها فما نحى خرطومه عني حتى جعلني فوق ظهره، فانتصبت جالساً وحفظت نفسي وحمدت الله سبحانه على تأخر القتل وجعلت أعجب مرة واتوقع القتل أخرى، والفيل يهرول ويسرع الى ان أضاء الفجر فوقف وأصعد خرطومه

(١) بالأصل: واجالوا والصواب في الفرج بعد الشدة (٢) بالاصل: ان انقض

الي، فقلت: حضر الأجل، فلفه علي وأنزلني على رفق إلى الأرض وتركني عليها وجعل يسعى في الطريق التي جاء منها، وأنا لا أصدق فلما بعد عني حتى لم أره اقبلت أدعو وأصلي، وتأملت موضعي واذا انا على محجة فمشيت عليها نحو فرسخين فاذا بلد عظيم قد لاح لي فقصدته ودخلته فإذا هو بلد من بلدان الهند عظيم وذكر اسمه. قال: فعجب أهله مني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها، فزعموا أن الفيل قد سار في هذه الليلة الواحدة مسيرة أيام وتسببت الى الخروج من عندهم والنقلة من بلد إلى بلد حتى حصلت في بلدي سالماً.

* * *

قال حدثني جعفر قال: ودّعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي [١] وقلت له: زودني شيئاً، فقال: ان ضاع منك شيء واردت [٢] أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل يا جامعَ الناسِ ليومٍ لا رَيبَ فيهِ إنّ الله لا يُخلفُ الميعاد، اجمع بيني وبين كذا، فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان.

قال فجئت الى الكتاني الكبير [٣] الصوفي فودعته، وقلت له: زوّدني شيئاً، فأعطاني فصاً عليه نقش كأنه طلسم وقال: اذا اغتممت فانظر إلى هذا فان غمك يزول. قال: وانصرفت فما دعوت الله بتلك الدعوة في شيء الا استجيبت ولا رأيت الفص وقد اغتممت الا وزال غمي، فانا ذات يوم أعبر قد توجهت الى الجانب الشرقي من بغداد حتى هاجت ريح عظيمة وأنا في السميرية والفص في جيبي فأخرجته لأنظر اليه فلا أدري كيف ذهب مني

(١) اسمه ابو الحسن علي. المتوفى ٣٢٨ راجع كتاب الانساب للسمعاني ٥٢٧

(٢) لعله: او اردت (٣) هو ابوبكر بن محمد بن علي ابن جعفر المتوفى ٣٢٢ راجع طبقات الشعراني.

في الماء أو في السفينة أو ثيابي ، فاغتممت غماً عظيماً فدعوت الله تعالى وعبرت وما زلت (أدعو) الله تعالى بها يومي وليلتي ومن غد واياماً فلما كان بعد ذلك أخرجت صندوقاً فيه ثيابي لألبس[1] شيئاً منها ، ففرغت الصندوق فاذا أنا بالفص في أسفل الصندوق فأخذته وشكرت الله عز وجل .

☆ ☆ ☆

وحدثني ابو الحسن احمد بن يوسف بن البهلول التنوخي قال : حدثني احمد بن الطيب قال كنت بحضرة المعتضد فجاء رجل يصيح بالباب «نصيحة» فأخبر بذلك فقال : أخرجوا اليه وقولوا له يذكرها ، فعاودوا[2] وقالوا قد قال لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين ، فقال قولوا له ان لم تكن نصيحة بالغت في عقوبتك ، فخرجوا وعادوا فقالوا قد قال رضيت ، فأدخل وأنا حاضر فسلم على الخليفة ، فقال ما نصيحتك ? فقال رقية وقعت إلي تحبس السم عن الملسوع في الحال ، فقال المعتضد هاتوا عقرباً قال فكأنها كانت معدة فأتي بها في أسرع وقت فاومى الى الخادم بحضرته فطرحت عليه فلسعته فصاح فقال له الرجل : ارني موضع اللسعة فأراه فأخرج حديدة لاحد لها وجعل يمسح بها من أعلى موضع اللسعة والسم الى أسفل ويقول :(بسم الله اوم سرا ومر بهل بنى تبعه كروارى ابهح ابهح نهشن بهوذا له مهز استروم لوبه قرقر سعهله)[3] ويكرر ذلك دفعات الى أن قال الخادم قد سكن الوجع عن يدي كله[4] الاموضع اللسعة فاني احس منه ببقية ، قال أعطوني ابرة فجاءوه بها ففتح الموضع

(١) الكلمة مطموسة (٢) الصواب : فعادوا (٣) في شمس المعارف للبوني مايشبه هذا (٤) لعله : كلها

فخرج منه شيء أصفر وقام الخادم معافى ، فأمر المعتضد فكتبت الرقية وخلدت (في) الخزانة وأمر للرجل بجائزة سنية .

قال لي ابو الحسن: وقد جربت على الزنبور فصحت . وسبيلها ان تجرب على الحية لأن قوله تحبس السم يدخل كل ذلك تحته ، وأنا رأيت أحمد بن يوسف يرقي بهذه الرقية على هذا الموضع فيقوم الملسوع من بين يديه يمشي وهو معافى

حدثني ابو الفرج المعافا بن زكريا الفقيه على مذهب أبي جعفر الطبري أحد خلفاء قاضي القضاة على بعض السواد قال : حدثني أبو طالب بن البهلول القاضي عن رجل عن أبي الطيب[1] بهذه الحكاية عن هذا[2] وانسي أبو الفرج اسم الرجل ولا أشك والله أعلم انه ابو احمد الرازي :هذه الحكاية منتشرة جداً في آل البهلول عن هذا الرجل عن أبي الطيب[1] وجميعهم يرقي بها وينقلها قولاً وعملاً

* * *

انشدني ابو الحسن علي بن هارون بن يحيى بن المنجم لنفسه، و كتب بها الى علي بن هارون بن خلف بن طياب في غيبة كان غابها وتأخرت عنه كتبه وفيه صنعة لأبي الحسن بن طرخان :

بيني[3] وبين الدهر فيك عتابُ سيطول ان لم يمحه الإعتابُ
ياغائباً بوصاله ومزاره[4] هل يرتجي من غيبتيك اياب
ماغاب من لم ينأ صفو وداده[5] وان ابوا غياب

(١) يريد احمد بن الطيب ولعل كنيته ابو الطيب (٢) لعله يريد: بعينها
(٣) ارشاد الاريب ٥ / ٤٤٢ (٤) في الارشاد :و كتابه
(٥) بياض بالأصل والبيت ليس موجوداً في الارشاد

لولا التعلل بالرجاء تقطعت ... نفس عليك شعارها الاوصاب

لا يأس من روح الإله فانه ... يصل القطوع ويقدم[1] الغياب

فاذا دنوت مواصلا فهو المنى ... سعد المحب وساعد الاحباب

واذا نأيت فليس لي متعلل ... الا رسول بالرضا و كتاب

* * *

أنشدني ابو الفرج احمد بن علي بن يحيى بن المنجم لنفسه والقافية في الابيات كلها لفظة واحدة باختلاف المعنى :

سيدي انت و من عادته ... باعتداء او بجور جاريه

وهذه الابيات قد مضت في غير هذا الجزء من الكتاب .

* * *

انشدني الاستاذ ابو احمد الحسين بن محمد بن سليمان لنفسه :

أيا من قده أَلِفٌ ... ويا من صدغه لامُ

لقد أكثرت لوّامي ... ولو أنصفت مالاموا

* * *

وأخبرني شاهد من الشهود ببغداد المقبولين وسألني أن لا أذكر اسمه وهو حي فلذلك لم أسمه قال : كنت احد الشهود الأربعة الذين ادخلوا مع قاضي القضاة ابي محمد وهو إذ ذاك غير متقلد شيئاً من الأعمال، ومعنا ابو بكر الاصفهاني صاحب سبكتكين التركي مولى معز الدولة لما وثب على الأمر وتسمى بالإمارة ، فأدخلونا وليس معنا سابع حتى شهدنا على المطيع لله بأنه قد

(١) في الارشاد : ويحضر

خلع نفسه وقرأنا عليه رقعة الخلع وقررناه بما فيه وخرجنا ، فأُدخلنا الى دار اخرى من دور الخلافة ، حتى حصلنا بحضرة الامير ابي بكر عبد الكريم بن المطيع ، فبايعناه بالخلافة وسلمنا عليه بها وخرجنا فجلسنا في مجلس قريب من مجلسه لنوقع خطوطنا بالشهادة من كتاب الخلع ، قال : واستسقى أمير المؤمنين الطائع ماءً فجاء بعض الخدم بكوز فيه ماء فشربه وخرج ، فرأينا الكوز وكنت عطشانا فقلت له : يا استاذ اسقني فجاءني بماء في ذلك الكوز بعينه فشربت منه وكتبنا خطوطنا وخرجنا .

يتبع



* * *

مخطوطات ومطبوعات

جواهر البيروني

طبع العلامة كرينكو Krenkow حتى الآن مجموعة من أهم المخطوطات العربية منها « جمهرة اللغة لابن دريد » في ثلاثة مجلدات مع فهرست في مجلد ضخم ومنها «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني » في أربعة مجلدات ومنها « كتاب التيجان في ملوك حمير وأخبار عَبيد بن شَرْيَةَ » و « كتاب الحماسة لابن الشجري » و « أخبار النحويين البصريين للسيرافي » ومنها « ديوان طفيل الغنوي وديوان الطِرِمَّاح بن حكيم » و«قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير » و«شعر أبي دهبل الجمحي » و «طبقات النحاة لأبي بكر الزبيدي» و « ديوان مزاحم العقيلي »و « كتاب المجتبي لابن دريد » و « ديوان النعمان بن بشير » وفي ذيله « ديوان بكر بن عبد العزيز العجلي » و « الكتاب المأثور لابن العميثل الاعرابي » و « المناظر لكمال الدين الشيرازي شرح كتاب المناظر لأبي الهيثم البصري » . وهذب كتاب «معاني الشعر الكبير »لابن قتيبة، وكتاب « اعراب ثلاثين سورة » لا بن خالويه، والمجلدات الثلاثة الأخيرة من « التاريخ المنتظم » لابن الجوزي ،و « المؤتلف والمختلف »و « معجم الشعراء » لابن المرزبان ،و « ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري . الى غير ذلك مما طبع من المقالات في المجلات الألمانية والانكليزية والايطالية والعربية وغيرها مما يعجز مجمع علمي منظم أن ينشر مثله في نصف قرن ، وبهذا الامتاع وسعة الاطلاع . ويلومني بعد هذا بعضهم أني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات ولو كان اللائمون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرتهم ولكنهم من الجماعة الذين لم ينشروا ورقة من آثار السلف ، وليس لهم من رأس مال إلا الثرثرة ، لا يعملون ولا يتركون غيرهم يعمل . وعلماء المشرقيات يأتوننا كل يوم ببرهان على تحمسهم في إحياء تراث الأمة العربية ، ونشهد في حركتهم اثرهم

العظيم في وقوفنا على عظمة أجدادنا ينادوننا بلسان الحال : انكم معاشر العرب مهما كان من نهضتكم اليوم فهي لاتعادل جزءاً صغيراً مما كان لأجدادكم في القرون الوسطى وقبلها ، أيام كانت الأمم كلها غارقة في لجج من الجهل بعيد ساحله ، وكان العرب وحدهم أصحاب الشأن في العلم والسياسة ·

وآخر درة من تلك الدرر التي أظهرها الاستاذ كرينكو كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » من تأليف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ · والبيروني أعظم رياضي في الإسلام نشأ في خوارزم وتنقل في خراسان والهند وغيرها من بلاد الشرق وهو من أصل ايراني ، لم يطبع له سوى كتابين : كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » و « الآثار الباقية عن القرون الخالية » من أصل كتبه الكثيرة التي رأى فهرستها ياقوت الحموي في وقف الجامع بمرو في نحو ستين ورقة بخط مكتنز وهي في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة والطب والاقرباذين · وقال البيهقي إنها وقر بعير و كتاب الجماهر هذا بدأه بترويحات عن النفس تكلم فيها على مسائل من العلم تروق المطالع وتروضه ، ثم تكلم على ماعرف من الجواهر في عهده وعرض لمعادنها وخواصها والغريب منها ، ولما ورد في أشعار العرب من ذكرها · وقال الناشر إن هذا الكتاب يفوق سائر الكتب في أوصاف الجواهر والفلزات لأن المؤلف كان أول من اثبت الثقل النوعي لأكثر الجواهر والفلزات ، وعلم أن هذا الثقل النوعي يمنع من الغش ، اذ لكثير من الجواهر الثمينة مشابهات في اللون والمائية لا تميز إلا بالصلابة والثقل ·

وقال ان البيروني يورد أخباراً عن فرائد الجواهر واثمانها في وقته ويتوسع في المسائل اللغوية · وعجب من جودة معرفته لدواوين الشعراء ، ولوجود هذه الدواوين في مدينة غزنة في عصره استدل على انتشار العلوم العربية يومئذ في شرقي خراسان · وقال ان من مزايا هذا الكتاب ان يذكر المؤلف أثناء تعريب الجواهر اسماء لغوية كثيرة لاوجود لها في المعاجم واسماء اجنبية من لغات كثيرة تدل على

تعمق البيروني في هذه اللغات وهذا علم لم نجده في غيره من علماء الإسلام، ولهذا لانبعد عن الحق إذا عددنا البيروني من أكبر علماء القرون المتوسطة .

وقع هذا الكتاب في ٢٧٢ ص عدا الملاحق والفهارس وطبع في حيدر آباد الدكن في الهند وعلق عليه صديقنا فريتز كرينكو تعليقات أتى فيها على اختلاف النسخ وجلى بعض الأماكن الغامضة بما دل على سعة اطلاعه على الآداب العربية، وعارضه على ثلاث نسخ وأصحها مانسخه محمد بن احمد المعروف بابن خطيب داريا الدمشقي المتوفى سنة عشر وثمانمائة ، وكان من اعلام الأدب والشعر في عصره يضرب في كل فن بسهم .

وقد جاء في خلال الكلام على المعادن والجواهر فوائد اعتاد الباحثون أن يقعوا عليها في تآليف البيروني منها (ص ٥٠) انه وقع اليه كتاب مكتوب في الشام في زمان عبد الملك بن مروان قد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيمة الجواهر في وقته . وهذه الجملة يصح أن تكون وثيقة تاريخية يحتج بها على من أفرطوا في الحط من قدر العرب وادعوا انه لم يمهد لهم تدوين قبل القرن الثاني من الهجرة مع أن التدوين بدأ على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام

كتب البيروني كتبه كلها باللغة العربية كسائر علماء الإسلام من اصول العجمية . وكان معجباً بالعرب ولغتهم اعجاباً عظيماً تجلى ذلك في كتبه . وقد قال مرة أن الهجو بالعربية أحب اليه من المدح بالفارسية . قال وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه، وكسف باله، واسود وجهه، وزال الانتفاع به، ولا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية . ويذكر قوله هذا بما قال العلامة الزمخشري في رده على الشعوبية أعداء العرب « إنهم لايجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها، والكلام في معظم أبواب الفقه ومسائلها إلا وهو مبني على العربية، وان بهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم، وبه تصر في القراطيس أقلامهم، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم » .

وقال البيروني (ص ٧١) وفي أخبار الفرس التي لا تخلو من زياداتهم لتفخيم أمر الأكاسرة وتفضيل ملكهم والمملكة التي لهم . والبيروني كسائر الفلاسفة يكره التزيد وقال (ص ٨١) ان جميع مافي العالم يستحيل بعضه الى بعض بحسب امتداد زمانه ولكن هذا طريق الشعراء من الإغراق في المدح بالأكاذيب . وذكر في (ص ٢١٥) حجري الخماهن والكرك وان الشيعة بناكدون السنة بالتختم بأبيضها والسنة يناكدون الشيعة بالتختم بالسواد فيأتون بالعلم الأسود والعلم الأبيض مكان العقيدة والمذهب ، فساءه ذلك وهو السني المعتدل ، فكان يجمع بين هذين الفصين في زوج خاتم كياداً للفريقين معاً .

وهكذا يعلم الناس العلم ويعلمهم الاعتدال ، ويبغض اليهم التزيد ويكره ذلك من أهل كل مذهب وجيل وطائفة ، ومما قال (ص ١٠٤) وأكثر أصحاب اللغة يجمعون المسموعات في كل طائفة وقبيلة ويفسرون بذلك على المستفيد ضبطها من غير فائدة لهم فيها سوى الإغراق في التفاخر والتكاثر حتى انهم طرحوا الأمانة وصاغوا للاستشهاد فيها شعراً طوقوه أهل المقابر ومموه بالأول والآخر عملاً بما قيل في الوصايا : اذا أردت أن تكذب فكن ذكوراً ، ولا تستشهد بحي حاضر يرده عليك ، واقصد فيها الموتى فانه غيب إلى الأبد .

محمد كرد علي

علم الأمراض الباطنة

تأليف الدكتور حسني بك سبح في سبعة أجزاء

كتبت في المجلد الرابع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق كلمة موجزة عن الجزء الأول من هذا السفر القيم الذي يعد في عهدنا هذا خير كتاب طبي ألف باللغة العربية ، في علم الأمراض الباطنة على الطريقة المدرسية الحديثة ، جمع إلى غزارة المادة وسعة الموضوع وسمو المطلب براعة التبويب وحسن الاسلوب وسهولة التعبير وفصاحة اللفظ وجودة الطبع وجيد الورق .

وها أني أقدم لقراء هذه المجلة كلمة مختصرة ، عن الأجزاء التي تلته وهي :

الجزء الثاني

الأمراض الانتانية والطفيلية

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م عدد صفحاته ٩٤٦ ص

بحث المؤلف في مطلع هذه الحلقة ، من الأمراض الباطنة ، في كليات الأمراض الانتانية والطفيلية ، من حيث العلل والاسباب والعوامل والأمراض العامة . والدفاع البدني والاعراض والآفات التشريحية العامة والتشخيص والوقاية . ثم درس في الأقسام التالية انتان الدم على اختلاف عوامله والحميات الاندفاعية والانتان بالحماة الراشحة وبالعوامل المجهولة ثم الامراض الانتانية الناشئة عن الجراثيم المعلومة ثم الأمراض الطفيلية . وقد عني المؤلف في كل من هذه الأبحاث بدرس الأسباب والتشريح المرضي والاعراض حسب أدوار المرض والأشكال السريرية والاختلاطات والتشخيص والانذار والوقاية والمعالجة باسهاب وتفصيل لاسيما في الأمراض التي تكثر مشاهدتها في سورية وفي البلاد العربية . واختتم المولف هذا الجزء بمعجمين احدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية جمع في كل منها الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء .

الجزء الثالث

أمراض جهاز التنفس

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧ م عدد صفحاته ٩٧٠ ص

نسج المؤلف في درسه أمراض جهاز التنفس على منوال ماجاء في الجزء الثاني فبحث أولاً في كليات هذا المطلب من حيث تشريح جهاز التنفس وفيزيولوجيته في الصحيح وفي المريض والأسباب العامة في أمراض هذا الجهاز والاستدلال الوظيفي والسريري وطرق استقصاء جهاز التنفس وطراز فحص المصاب بعلة تنفسية والوقاية والمعالجة العامة . ثم أخذ بدرس أمراض هذا الجهاز على التفصيل حسب أقسامه التشريحية مبتدئاً بجزئه العلوي حيث الأنف والبلعوم الأنفي والحنجرة والرغامى والقصبات ثم انتقل الى الرئتين فبحث في اضطراب الدوران الرئوي ثم في أمراضها

الحادة فالمزمنة ثم السل الرئوي مختتماً بأمراض غشاء الجنب والجنابات القيحية وغيرها ·

ويحوي هذا الجزء أيضاً معجمين أحدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية جمع في كل منهما الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء ·

الجزء الرابع

أمراض جهاز الهضم

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م عدد صفحاته ١٦٤ ص

يمتاز هذا الجزء على الأجزاء السابقة بزيادة عدد صفحاته وغزارة مادته ووفرة الرسوم والصور والتوسع في مبحث الاختبار والاستدلال بالوسائل المخبرية المختلفة الشعاعية والكيمياوية والحكمية وفي طرق المعالجة وانواع القوام الغذائي مما يندر جمعه في كتاب واحد ·

ويقسم الكتاب الى مبحثين عامين الأول في أمراض انبوب الهضم ويحوي أمراض الفم والبلعوم والمري والمعدة والامعاء والثاني في امراض توابع هذا الانبوب وهي البانكرآسي والبريطون والكبد وفيه الطرق الصفراوية · وخير كلمة تقال في هذه الحلقة انها جامعة لما وصل اليه فن الطب الحديث مما يحتاج اليه الطالب والطبيب المارس في مبحث أمراض جهاز الهضم · وفي هذا الجزء أيضاً معجمان احدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية حوى كل منهما الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء ·

فلسفة الطب

أو علم الأمراض العام

تأليف الدكتور حسني بك سبح

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٨ — ١٩٣٩ عددصفحاته ١٠٧٠ ص

عنى المؤلف بكلمة (فلسفة) كليات الطب وهو الاسم الذي اطلقه الأقدمون على هذا العلم ككليات ابن رشد التي نشرها حديثاً معهد فرانكو لتقدم العلوم في اسبانيا وما زال

يطلقه عليه علماء العصر الحاضر . وذلك لأن كلمة فلسفة ابعد غاية مما تقف عنده مباحث هذا العلم في العهد الحاضر .

درس المؤلف في هذا الكتاب غاية الطب ووسائله فبحث في الاسباب والمؤثرات المختلفة وفي ارتكاس البدن أي مقاومته هذه الاسباب ثم انتقل الى التغذية والتبادل الغذائي فدرس التطور الاسامي ثم اضطراب التغذية ثم تطور الأغذية العضوية وماءآت الكاربون والمواد الدهنية والاجسام المعدنية واضطرابها . ثم بحث في الجملة العصبية النباتية والغدد الصم فدرس الاضطرابات الوظيفية في المخ والدماغ المتوسط والبصلة السيسائية والنخاع الشوكي والمنعكسات والحس الحشوي والنسج والاعصاب وصلة كل من ذلك بالتعصب النباتي . ثم اخذ بدرس الغدة الدرقية ومجاورات الدرق والتوتة والكظرين وجزيرات البانكرآس والنخامية والصنوبرية والتناسلية واختتم هذ البحث بنظرة اجمالية في التنظيم النباتي واضطرابه .

وفي نهاية الكتاب معجان أحدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية حويا الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الكتاب .

تلك هي الأجزاء التي تم نشرها من المجموعة الطبية العربية القيمة التي أخذ بتأليفها الزميل الاستاذ حسنى سبح عميد المعهد الطبي العربي بدمشق وأستاذ الامراض الباطنة وسريرياتها فيه في غضون ست سنوات متتابعة فسد بها فراغاً كبيراً في هيكل اللغة العربية وفي صرح كيانها العلمي كانت الجامعة الأميركية في بيروت والقصر العيني في القاهرة في بدء نشأتيهما اسدلا عليه ستاراً ماعتم حتى انكشف فله منها ومن أبنائها الشكر وأطيب الثناء .

اسعد الحكيم

منشورات المجمع العلمي المصري

في مصر مجمع علمي قديم معظم أعضائه من العلماء الأجانب . وبعضهم من علماء مصر المشهورين كالجراح علي باشا ابراهيم والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . والدكتور احمد عيسى بك والدكتور طه حسين بك واحمد لطفي باشا السيد والدكتور منصور فهمي بك ، والاستاذ محمد خليل عبد الخالق بك والاستاذ علي مصطفى مشرفة بك وغيرهم .

وللمجمع المذكور اربع شعب الأولى للآداب والفنون الجميلة والآثار ، والثانية لعلوم الأخلاق والسياسة ، والثالثة للعلوم الطبيعية والرياضية ، والرابعة للطب والزراعة والمواليد . وقد وزع الأعضاء الأصليون على هذه الشعب كل على حسب اختصاصه . وللمجمع عدد من الأعضاء المؤازرين وعدد من الأعضاء المراسلين يقيمون في مصر او في الديار الأجنبية . ولغة المجمع الفرنسية . لكنهم ينشرون أيضاً بحوثاً بالانكليزية كما ينشرون خلاصة الجلسات بالعربية .

وفي نحو كل شهر يعقد المجمع العلمي المصري جلسة يخطب فيها بعض الاعضاء ملخصين أبحاثاً علمية بحثوها ونتائج استنتجوها ، ثم يقدمون الى مكتب المجمع نسخاً من هذه الابحاث فينشر منها ما يراه جديراً بالنشر إما مستقلة باسم « مذكرات مقدمة الى المجمع العلمي المصري » وإما ضمن مجلة يصدرها المجمع مرتين في السنة واسمها « نشرة المجمع العلمي المصري » . وقد صدر الى اليوم ٤١ مذكرة أي سفراً و ٢٣ مجلداً من النشرة المذكورة .

وأهم ما استرعى نظرنا من المذكرات التي صدرت حديثاً تلك التي نشر فيها الدكتور مايرهوف مخطوطة « شرح اسماء العقار » تأليف ابي عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي . وقد كتبنا عن هذه المذكرة بحثاً مستقلاً نشر في مجلتنا م ١٧ ص ٨٩

ومما استرعى نظرنا ايضاً مجلدان بالفرنسية في نباتات سورية تأليف مسيو تيابو J. Thiébaut . وهذا المؤلف الجديد الذي لا يشتمل المجلدان المذكوران

إلا على جزء منه موضوع على طريقة استقرائية مفيدة · وهو أتم من كتاب بوست في هذا الباب اي أنه يحتوي على بضع مئات من الأنواع النباتية التي لم يتناولها أحد قبل المؤلف · فنتمنى أن يتم مسيو تيابو طبع هذا المؤلف الثمين كما نرجو ان يتاح له من يترجمه بالعربية ·

أما الأعداد الأخيرة من نشرة المجمع أي مجلته ففيها عدد من الابحاث الجليلة منها مخطوط لقسطا بن لوقا البعلبكي عنوانه « كتاب في علل اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم » نشره الأب المحترم بولس سباط وترجمه بالفرنسية · ومنها بحث بالفرنسية عن كتاب الصيدلة في الطب للبيروني ، وآخر عن مفردات الغافقي ، وثالث عن مفردات الشريف الادريسي ، ورابع عن اول ذكر العرب للشاي ولاستعماله · وهذه الابحاث الاربعة للدكتور مايرهوف وقد جود فيها كثيراً ·

ومنها بحث بالإنكليزية عن طبائع الطيور في واحة سيوة بقلم ر · ا · مورو R. E. Moreau ، والضغط البخاري وحجم قوة التيار الكهربائي بقلم الدكتور ه · لوفي H. Lowy ووثيقة عن تاريخ الجالية الفرنسية في القاهرة ، وأوزان الشعر العربي وضبطها بالعلامات الموسيقية « نوطة » بقلم الأب فاشيني ، وديدان الأرض في مصر وهو بحث بالانكليزية للسيد ع · خلف الدويني ، الى غير ذلك من الأبحاث القيمة التي تدل على مبلغ جهود العلماء الذين يتألف منهم المجمع العلمي المصري

فنحن نتمنى للمجمع المشار اليه حياة مديدة في خدمة العلم والثقافة ، كما نتمنى ان يؤتى الوسائل الكافية فيترجم بالعربية ما أمكن ترجمته من الكتب والأبحاث المفيدة التي يخرجها على الناس بحلة قشيبة ومادة غزيرة ·

مصطفى الشهابي

النقود العربية وعلم النُّمِيّات

عني بنشره وتصحيحه الاستاذ الأب انستاس ماري الكرملي ·

عدد صفحاته ٢٥٩ بقطع متوسط طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٩ ·

جمع الاستاذ في هذا الكتاب ما اتصل به من التصانيف العربية القديم منها والحديث التي تبحث في النقود الاسلامية منها :

١ فصل النقود للبلاذري

٢ شذور العقود في ذكر النقود للمقريزي

٣ ماكتبه ابن خلدون في مقدمته عن السكة

٤ فصل الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية للقلقشندي

٥ تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ماحدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ لمصطفى الذهبي الشافعي

٦ علم النميات للاستاذ الكرملي

قد اسدى الاستاذ بعمله هذا خدمة جليلة يشكر عليها ولا سيا بتنظيمه الفهارس المفيدة التي اختتم بها مجموعته فقرب بها على الباحث منال الانتفاع واعفاه من متاعب المراجعات · كنا نود ان تكون هذه المجموعة اصح مما سبق نشره منها اذ تبين لنا من المقارنة بأنها دونها عناية بالتصحيح مشحونة بأغلاط كان يمكن اجتنابها لو قدر الاستاذ عمل غيره ولم يبخسهم حقهم · فلو امعن في التدقيق لتحقق له أن مخطوط كتاب النقود الذي اعتمده والنسخة التي اعتمدها احمد فارس قد استقت من ينبوع واحد حتى تشابهت اغلاطها وتكررت تصحيفاتها ووجدنا أن نسخة الاستاذ ماير (Mayer) — التي زعم الاستاذ الكرملي «أنه زادها تصحيفاً وتشويهاً وافساداً فأصبحت الحوراء عوراء» — هي اصح النسخ المعروفة لأنه نقلها بكل أمانة بالفتوغراف عن نسخة مصححة بخط المؤلف خالية من اجتهاد التصحيح وآفاته وفيا يلي بعض ماأحصيناه من الأغلاط :

فصل النقود للبلاذري

صفحة	خطاء	صواب
١٠	فقدمت علينا المدينة وفيها	فقدمت المدينة وفيها
١٣	فاجمع انتقاداته معمول	فاجمع النقاد انه معمول
١٥	عبد الاعلى بن حماد البرمي	عبد الاعلى بن حماد النرسي
١٦	حدثني محمد بن سعد الواحدي	حدثني محمد بن سعد عن الواقدي
١٦	المطلب عبد الله بن حنظب	المطلب عبد الله بن حنطب

كتاب النقود للمقريزي

صفحة	خطاء	صواب
٢٩	مع المائة الحبة صنجة ثالثة	مع المائة الحبة صنجة ثانية ثم صنجة ثالثة
٣٢	وفي بعضها لا اله الا الله وحده وفي آخر مدة عمر وزن كل	وفي بعضها « لا اله الا الله وحده » وعلى اخر « عمر » وجعل وزن كل
٣٢	عليها تمثال متقلدا سيفا	عليها تمثاله متقلدا سيفا
٣٤	خمسة عشر قيراطاً سوى	خمسة عشر قيراطا تبرا
٣٧	فاذا هو ٤ دوانيق جمعها و كل زيادة الا كبر على ..	فاذا هو ٤ دوانيق تبراً جمعها وحمل زيادة الا كبر على .
٣٧	كل ١٠ دراهم منها ستة دوانيق	كل عشرة دراهم زنة كل درهم منها ستة دوانيق
٤٣	اهل المدينة النبوية	المدينة النبوية
٤٣	يقبلها	يقلبها
٥٠	وبقيت الدولة العباسية في الترف	وتفننت الدولة العباسية في الترف
٥٥	من المال	من الرجال
٥٥	والصرف	وانصرف
٥٦	البريوبة	البريطية
٥٦	من غشه ودنسه	من غشه ودلسه

صفحة	خطاء	صواب
٥٧	على ديناره	على عيار ديناره
٤٨ و٥٧	السندي بن هاشك	السندي بن شاهك
٥٨	صارت مصر من يومئذ دار ملكه	صارت مصر من يومئذ دار خلافة بعد ما كانت دار امارة
٥٩	ابي علي المنصور بن المعز	الحاكم بامر الله ابي علي المنصور بن العزيز
٥٩	وترك من في يده شيء منها	وانظر من في يده منها سيء
٥٩	بدخول الفرس الشام ومصر	بدخول الغزمن الشام الى مصر
٥٩	في سنة ٥٦٩	في سنة ٥٦٧
٥٩	فرمهم	فنقش
٥٩	المصارف	الضايقة
٥٩	غمهم من ذلك	عمهم من ذلك
٥٩	حرمة له	حرمة الغيور له
٦٠	الى ان دخل الملك الكامل ٠٠ فأبطل الدرهم الناصري	الى ان أبطل الملك الكامل ٠٠٠ الدرهم الناصري
٦٠	بالزيوف	بالورق
٦٠	الكامل	الكاملي
٦٠	الاتراك	مماليكهم الاتراك
٦٣	٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠	قد تقدم ان الدراهم التي عملها عبد الملك بن مروان كان فيهاثلث فضائل وانا
٦٤	لأنه قال	فانه عليه السلام انما فرضها في الفضة
٦٤	سنة المفسدين	سبيل المفسدين
٦٤	واصلح ولا تتبع المفسدين	واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

صفحه	خطأ	صواب
٦٤	اتبعوا قوما	اتبعوا اهواء قوم
٦٤	عملا بقوله	وكفى بقوله عليه السلام
١٥	تيمورلنك	بني تيمورلنك
٧٠	. . . .	واستدل بهذه الايـة على اختصاص قريش بالخلافة

اما في كتاب النميات فقد اهمل عدد كبير ممن نقش اسماؤهم من العمال على النقود ولو استعان المؤلف باي فهرس من فهارس مجاميع النقود الاجنبية لتمكن من جمعها بكل سهولة كما أنه قد نسي من بين الدول التي انفصلت عن الخلافة العباسية الدولة الاخشيدية والفاطمية والدول الاسلامية في الأندلس وافريقية الشمالية .

حبذا لو استعاض عن صورة نقود صلاح الدين الخيالية المنشورة في ص : ٩٣ بصورة حقيقية مما شاع من النقود والسكك .

هذا والكتاب حافل بالفوائد وجدير بالمطالعة .

جعفر الحسني

المدرسة النظامية وتاريخها

تأليف الاستاذ السيد أسعد طلس

طبع في بوردو على نفقة مكتبة غوتنر الباريزية ١٩٣٩

AS'AD TALAS

La Madrasa Nizamiyya et son histoire, Paris 1939

كتاب قدمه الاستاذ أسعد طلس الى جامعة بوردو ونال به لقب دكتور في الآداب . يقع مع فهارسه في ١٢٢ صفحة وفي آخره خريطة لبغداد تبين موقع المدرسة النظامية وصورة للآثار الباقية من هذه المدرسة ومخطط وصورة للمدرسة المرجانية المنشأة على غرار النظامية وثبت المصادر وفهارس متعددة .

أحسن المؤلف في انتخاب موضوعه الدقيق الخطير ذلك أن امثال هذه الموضوعات

اذا درست تكون من مجموعها فكرة صحيحة عن التعليم ومعاهده في المدنية الإسلامية وقد أشار الأستاذ الى ذلك اذ وضع لكتابه عنواناً آخر كبيراً وهو التعليم عند العرب وقد بين المستشرق الاستاذ بلاشير خطورة الموضوع في كلمته التي صدّر بها الكتاب فقال : « ان هذا الكتاب يخرج عن النطاق الضيق الذي يخيل العنوان انحصاره فيه ويعطينا نظرة شاملة عن النشاط العلمي لقسم كبير من البشرية خلال عصور متعددة من تاريخها » وقد قسم المؤلف كتابه الى خمسة أقسام عدا كلمة التمهيد والمقدمة والخاتمة ·

اما التمهيد فبين فيه غاية هذه الدراسة التي هي اظهار أثر المدرسة النظامية في مقاومة الباطنية والشيعية وفي تهيئة عمال للدولة من أهل سنة وأما المقدمة فقد استعرض في الفصل الأول منها حالة التعليم في القرون الأربعة الاولى للإسلام وذكر في الفصل الثاني معاهد التعليم التي أولها المساجد وحلقات القصاص والأماكن العامة كالمربد ومجالس الخلفاء والكبراء ثم ذكر الكتاتيب وبيوت القراء والمؤدبين وطرق التأديب وهو بحث مختصر قيم عن التعليم عند العرب وآراء بعض مؤلفيهم فيه كابن العربي وابن خلدون واعقب ذلك بذكر المدارس وابتداء ظهورها والمكاتب التي أنشأها الخلفاء وغيرهم كدار الحكمة المأمونية وأختها الفاطمية · وعرض في الفصل الثالث لذكر الحالة السياسية في العالم الاسلامي على عهد نظام الملك ثم بحث في القسم الاول من الكتاب في حياة نظام الملك وأخلاقه وسياسته وآثاره وفي القسم الثاني منه يدخل في اصل الموضوع فيتكلم عن المدرسة النظامية من نشوئها والاحتفال ببنائها ووصفها ووصف مكانها وآثارها الباقية ويعرض بعد هذا لنظام المدرسة وادارتها من أوقات التدريس وشروط تولي الادارة والتعليم فيها وتنصيب الاساتذة ومنزلتهم الاجتماعية والمواد التي تدرس فيها وطريقة التعليم ويخصص الفصل الثاني للكلام على بيت الكتب والموظفين · والقسم الثالث من الكتاب يبحث في تأثير المدرسة في المدارس الاخرى من حيث فن البناء ومن حيث تحديد الغاية التي هي نصرة

فكرة دينية وسياسية خاصة وبين المؤلف في فصل خاص أثر المدرسة الثقافي من الناحية العلمية والاعتقادية ولا سيما في الاندلس عن طريق ابن تومرت خريج هذه المدرسة وعقد فصلا للموازنة بين النظامية والأزهر والمستنصرية وفي القسم الرابع من الكتاب تراجم مختصرة لعدد كبير من المشهورين من أساتذة هذه المدرسة ومن تخرجوا فيها .

ويختم المؤلف الكتاب بنتيجة ما أداه اليه البحث من أن هذه المدرسة استطاعت أن تفي بالغرض الذي أسست من أجله فوقفت امام التيارات الشيعية والباطنية في المشرق والمغرب ونجحت في نشر العقيدة الاشعرية والمذهب الشافعي في البلاد الاسلامية .

فالرسالة في جملتها عمل مجيد يحمد المؤلف على ما بذل فيه من جهد ولا سيما في الاحالة الى المصادر الكثيرة التي اضطر للرجوع اليها .

بيد أنه يمكن أن يؤخذ عليه بعض أمور منها ان الفصل الأول الذي كتبه عن المدارس والتعليم مختصر جداً عام الافكار وان الفصل الذي عقده لذكر الاساتذة والمتخرجين في النظامية لم يزد فيه على سرد تراجم مختصرة لم يخرج منها باستنتاج وكان في الوسع أن ينتخب من هذا العدد الكبير أفراداً يتتبع بدقة آثارهم ويصل من ذلك الى شيء من التفصيل عن النزعات والافكار التي نشرتها المدرسة النظامية بواسطتهم وكان يفيده ذلك فائدة كبرى في بيان أثر هذه المدرسة الفكري بشكل أعمق وأدق مما فعله وكان عليه ان يشير الى أن نظام الملك بني عدة مدارس سميت باسمه في نيسابور وغيرها من المدن (انظر ترجمة ابي المعالي الجويني في وفيات الأعيان) .

وفي الكتاب أمور أخرى فرعية يمكن أن تنتقد أيضاً كترجمته القراءات السبع بـ Les sept cadences ص ١١ وهو خطأ ربما وقع فيه بعض المستشرقين لأن معنى هذه الكلمة الفرنسية الايقاع الموسيقي والترجمة الصحيحة التي يعتمدها ثقات المستشرقين Les sept lectures . وفسر علم المناظرة ص ١٢١ بأنه علم المناقشة بين

المذاهب الاربعة مع انه غير مقيد بالمذاهب ولا بالفقه مطلقاً وقال ان المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي للدولة العباسية وليس الأمر كذلك فقد كان المذهب الحنفي في العصر العباسي الأول هو المذهب السائد وعليه العمل غالباً وان لم يكن رسمياً يحمل الناس عليه ·

وذكر في ترجمة أبي الفتح بن البرهان الحنبلي ص ٦٠ أن له كتب البسيط والوسيط والوجيز مع ان هذه الكتب للغزالي وأما صاحب الترجمة فله الأوسط والوجيز كما ذكر السبكي في ترجمته ·

على ان هذه الأمور لا تضير هذه الرسالة النفيسة ولعل حالة الحرب الشديدة التي ألفت الرسالة خلالها اضطرت المؤلف الى سرعة الانجاز والاختصار بسبب بعده عن المراجع الكثيرة ولعله ينقل الى ابناء العربية رسالته هذه فيستوفي بعض ما أوجز وينقح بعض ما أهمل تنقيحه فيقدم بذلك الى العربية وأبنائها عملاً جليلاً ·

محمد المبارك

ظرائف الأمس غرائب اليوم

او

صور من حياة النبك وجبل القلمون في اواسط القرن التاسع عشر

جمع مؤلف هذا الكتاب يوسف افندي خنشت صورا شتى للحياة الشعبية في جبل القلمون عامة والنبك خاصة · فبسط القول في اشغال الناس هناك وعاداتهم في المأكل والملبس وتربية الأولاد والتزاور والولائم والسمر واللهو والفلاحة والزراعة والحصاد والخطبة والزواج والأعياد والمآتم · وذكر طرفاً صالحاً من اهازيجهم واغانيهم وما الى ذلك من وجوه الحياة المتعددة فجاء كتاباً طريفاً ممتعاً يستحق صاحبه الشكر والتقدير ·

خ · م

مخطوطات من محسنين دمشقيين

تفضل الاستاذان الشيخ عبد القادر الطنطاوي والشيخ عبد الوهاب الطنطاوي باهداء المجمع العلمي العربي مجموعة من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وتلك مأثرة لهما يشكرهما المجمع عليها ويشكرهما أهل العلم جميعاً . وهاك قائمة تلك الكتب مع وصف الجدير منها بالوصف .

١ — تاج اللغة وصحاح العربية لابي نصر اسماعيل بن محمد الجوهري (— ٣٩٣). نسخة جليلة صحيحة مضبوطة في جميع حروفها ، خطت فيها الألفاظ المشروحة بالقلم الأحمر . واستعمل هذا القلم ليفصل بين اجزاء الشرح فيظهرها واضحة . الصقت فوق امم الكتاب بمهارة تامة ورقة سترت « سرلوحة » جميلة كانت تزين امم الكتاب . وأحاط بكل كتابة جدول مسطر بالذهب مرتين وبالاخضر أخرى . وقد ألصق بكل ورقة من الأوراق الاصلية ورقة من قطع ذلك الجدول بصورة اختفت فيها معالم اللصق وذلك بتسطير الجداول الذهبية على مكان اللصق تماماً . وقد تمتد هذه الورقة الملصوقة الى خارج الجدول قليلاً فيذكر في امتدادها سهو حصل حين النسخ . اما الاوراق الثلاث الاخيرة فقد الصق بكل واحدة منها ورقتان، العليا منهما ليست بقطع الجدول بل مخرفة عنه . ابعاد النسخة ٣٨و٥×٢٥و٥ سم ، عدة أوراقها ٣٢٥ ورقة ، عليها هامش قدره ٤ سم . الجلد حديث مذهب في كعبه . كتب النسخة علي بن ابي طالب بن علي بن علي بن الحسين بن الخشاب الحلبي سنة ٦٠٩ . والنسخة وقف الملا عثمان الكردي .

٢ — كتاب اهوال القبور وأحوال أهلها الى النشور لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب (٧٠٦ — ٧٩٥) . أوله : الحمد لله الذي اسكن عباده هذه الدار ، وآخره :

الا انما الانسان ضيف لأهله   يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

والنسخة حسنة ، خطها مقروء كبير الحرف ، عدة اوراقها ١٢٨ ، أبعادها

١٩×١٣ سم، عليها هامش قدره ٣ سم، جلدهـا قديم مزين لكنه فقد زينته . وقفت النسخة في «مدرسة دار الحديث الاشرفية محل تدريس الامام النووي»، كتبها محمد بن ابي بكر بن سعيد البدوري (؟) الدمشقي سنة ٨٤٦ .

٣ — كنز اليواقيت في الكشف عن أصول المواقيت لشهاب الدين احمد بن رجب بن طيبغا المجدي (٧٦٠ — ٨٥٠) وهو شرح رسالة ابن السراج، اوله : لما وقفت على رسالة الشيخ ... ابي العباس احمد بن ابي بكر بن السراج القلانسي الحلبي الموضوعة في علم الميقات ... فأحببت ان أضع عليها تعليقاً يتضمن بيان قواعده وتحرير معاقده» آخرها «وهذا معنى قوله وبالعكس إلى آخره» النسخة في حالـــ حسنة، عدة اوراقها ١٤٢ . خطها مقروء متوسط الحرف . ذكرت كلمة قوله بالقلم الاحمر وخط على بعض اسطرها بذلك القلم . وفيها أشكال مصورة بالاحمر مع حروف بالاسود . كتبها المؤلف، وملكها ابو الطاهر محمد بن محمد المومني سنة ٨٨٦ ووقفها الملا عثمان الكردي

٤ — كتاب مجهول المؤلف والاسم، كتب في اوله : اما بعد فهذا كتاب جمعت فيه من كتب المطلوب وهو من الكتب التي ادخرتها الملوك والخلفاء للامور المهمة... وهو مشتمل على كه باب (اي خمسة وعشرين)، الباب الأول في احكام طوالع السنين ... الباب الخامس والعشرون : القول على دلائل طلوع الشعرى اليمانية وما يحدث بعدها»، آخره «ويحدث في آخرها بالناس وجع المفاصل ويكثر الرمد والمرض في الاحياء وغير ذلك فراجعه ان اردته والله تعالى اعلم بالصواب» .

النسخة غير مجلدة، مدشوتة الاوراق :عدة أوراقها ٤٨ورقة، أبعادها ٢٢×١٦سم خطها مقروء كبير الحرف . كتبت أوائل الجمل والفصول بالقلم الاحمر . وفيهـا جداولـــ بذلك القلم، وقفها الشيخ ابراهيم العريف سنة ١٣٥٢ ه

٥ — سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين محمد بن محمد بن نباته (٦٨٦ — ٧٦٨) نسخة عليهـا تعليقات نقلت من كتب اخرى كتسهيل السبيل

للشيخ غرس الدين ووفيات الاعيان لابن خلكان وورد في أولها ترجمة مؤلف الكتاب . كتبها رمضان بن موسى العطيفي سنة ١٠٥١ وقابلها سنة ١٠٥٧ . أولها من الورق الجيد وآخرها من ورق اقل جودة . نقلت رسالة ابن زيدون بالقلم الاحمر وجعل شرحها بالقلم الاسود . وقفت النسخة في المدرسة البادرائية .

٦ — الرسالة القشيرية لابي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٣٧٦ — ٤٦٥) . النسخة حسنة جميلة الخط في اولها « سرلوحة » . كتبت بالخط النسخي سنة ١١٢٨ . ووقفها عبد القادر بن احمد بن محمود في المدرسة المرادية سنة ١٢٨٢

٧ — الجزء الاول من كتاب الروضة في الفقه الشافعي للامام محي الدين النووي (٦٣١ — ٦٧٦) النسخة قديمة اكمل آخرها بخط حديث

٨ — الجزء الثاني من الروضة . نسخة عيسى بن سعيد بن أبي القاسم محمد بن عبد الحميد البصراوي سنة ٧٢٩ وقوبل بالمدرسة الرحاصة سنة بضع واربعين وسبعمائة .

٩ — الجزء الثالث من الروضة ، آخره كتب بخط يختلف عن اوله . وتم سنة ٨٩٥

١٠ — الجزء الرابع من الروضة . نسخه محمد بن احمد بن ابراهيم الشافعي بالمدرسة الشامية البرانية سنة ٧٤٢

١١ — الجزء الثاني من المهمات للاسنوي وهي على شرح الوجيز الكبير للرافعي وعلى مختصره المسمى بالروضة للامام النووي . نسخه احمد بن محمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوفي . جلده أثري .

١٢ — مجموعة تحتوي على خمس عشرة رسالة هذا تعدادها

١ — متن السنوسية نسخت سنة ١١٨٦

٢ — كاشفة الحجاب والدين للخطيب الشربيني ، كتبها عبده يوسف الزعبي سنة ١١٨٧

٣ — شرح منظومة ابن فرح في المصطلح كتبها عبده يوسف الزعبي سنة ١١٨٧

٤ — مقدمة الياس الكردي

٥ — الجوهرة الشفافية في بعض مناقب السيدة الصديقية لعبد الله بن ابراهيم الميرغنى

٦ — الدرة اليتيمة في فضائل السيدة العظيمة فاطمة لعبد الله بن ابراهيم الميرغنى

٧ — المقاصد الفخرى في بعض مناقب السيدة خديجة الكبرى لعبد الله ابن ابراهيم الميرغني كتبها ابن المؤلف علوي سنة ١١٨٩

٨ — رسالة فيما يورث الفقر والنسيان للشيخ ابراهيم الناجي ، مخرومة في آخرها

٩ — عقيدة عز الدين ابي محمد بن عبد السلام السلمي الملقب بسلطان العلماء

١٠ شرح تائية مخرومة في اولها

١١ — نسبة خرقة الشيخ الاكبر

١٢ — حلية الابرال لمحيي الدين بن عربي

١٣ — شرح رسالة الشيخ رسلان

١٤ — ترجمة الشيخ رسلان

١٥ — حكمة سيدنا علي بن ابي طالب ، مخرومة في آخرها

١٣ — مجموعة خمس رسائل لمحيي الدين بن عربي هي :

١ — بلغة الغواص الى معدن الاخلاص في معرفة الانسان

٢ — الاسرا الى مقام الاسرى

٣ — شرح اصطلاحات الصوفية

٤ — مشاهدة الاسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية

٥ — شرح مشكل المشاهد

وقد ملك هذه المجموعة سنة ١٠٧٧ شخص طمس اسمه ثم ملكه تقي الدين الحصني سنة ١٠٨٠

١٤ — التبر المسبوك في نصائح الملوك للغزالي ، وقف حسن بن عبد الغني الصواف سنة ١٢٢٢

١٥ — الفتوحات الوهبية بشرح الاربعين النووية للشبراخيتي ، كتبها محمد بن سليمان بن ابراهيم المالكي الشهير بالدجوي

١٦ — حاشية حسن بن علي الازهري المدابغي على شرح الاربعين النووية لابن حجر وقف الحاج اسماعيل آغا امام اغلي الكردي سنة ١٣٤٥

١٧ — شرح الاربعين النووية لابن حجر ، كتبه حسين بن حسن الشافعي سنة ١١٢٥ وقفه الحاج اسماعيل

١٨ — الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع للخطيب الشربيني ، كتبه علي بن دياب الحموي سنة ١١٨١

١٩ — شرح الاجرومية للشيخ خالد ، وقف احمد بن محمد امام التينبية بالميدان

٢٠ — شرح الشفا للملا علي القاري جزءان ، الطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٢٥٧

٢١ — المجمعة الكبرى من القصائد الفخري في حق نبينا محمد البشري . طبع الاستانة ، سنة ١٢٩٨

آراء وانباء

ذكرى جيب

يُصدر مذياع لندن باللغة العربية مجلة نصف شهرية بالعربية اسمها «المستمع العربي» ينشر فيها خلاصة ما يذاع من الاحاديث والمسامرات وغيرها وتخص الصفحتان الاخيرتان منها بالكلام على الكتب وقد قرأنا في العدد الاخير منها مقالة بقلم الاستاذ ا . ج . اربري في عمل الاستاذ نيكلسون كبير علماء المشرقيات الانكليز – بمناسبة نشره كتاب مثنوي في ثمانية اجزاء – جاءت فيها اشارة الى الوقف الذي خصصته والدة المستشرق الانكليزي جيب (E. J. W. Gibb) قال : هصرت المنية عود جيب في سنة ١٩٠١ بالغاً من العمر خمساً واربعين سنة فقامت والدته تخليداً لذكراه بوقف املاك يخصص ريعها للغرض الذي ذكرته في عقد هبتها الا وهو تشجيع البحوث العلمية في تاريخ الاتراك والايرانيين والعرب ، وآدابهم وفلسفتهم وديانتهم وهي العلوم التي خصص لها ابنها حياته منذ نشأته الى وفاته المبكرة المأسوف عليها .

وكان أول مجلد نشرته هذه المؤسسة الخيرية العلمية طبعة حسنة من نسخة خطية تركية لكتاب (Babur-nama) وموضوعه ترجمة الامبراطور المغولي العظيم بابور وقد ظهر هذا المجلد في سنة ١٩٠٥ . وقد نشرت هذه الجمعية خلال الخمس والثلاثين سنة مالا يقل عن ٤١ مؤلفاً تحتوي على ٦٤ مجلداً كما ساعدت ماليًا على نشر اربعة مجلدات أخرى . وتختلف الكتب التي قامت بنشرها في موضوعها ومادتها ، من كتاب ارشاد الاريب لياقوت الذي نشره الاستاذ مرجليوث في سبعة أجزاء الى ترجمة الاستاذ منورسكي لكتاب حدود العالم وهو أقدم مرجع فارسي في الجغرافيا ، ومن كتاب تجارب الامم لابن مسكويه نشره العالم الانكليزي

كي لسترانج الى نسخة خطية مشروحة شرحاً كاملاً الى طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز الذي نشره العلامة الايراني عباس اقبال ·

وقد اسدت هذه الأوقاف التي وقفتها تلك السيدة الانكليزية تخليداً لذكرى ابنها النابغة اجل الخدمات للعلوم الاسلامية ، وتتولى لجنة من كبار المستشرقين البريطانيين الإشراف على اختيار المؤلفات التي تنشر · والباب مفتوح امام العلماء مهما كانت جنسيتهم ليقدموا ابحاثهم العلمية الى هيئة الأوصياء · والميزان الوحيد الذي تبني عليه الهيئة حكمها هو الدقة والامانة في البحث ·

محمد كرد علي

المغرب في ترتيب المعرب

جذب نظري ما كتبه الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، في مقال طويل يصف لنا المعجم المعروف بالمغرب للمطرزي

فتكلم عليه ولم يذكر انه مطبوع وقد برز من مطبعة « مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدرآباد الدكن الواقعة في الهند في سنة ١٣٢٨ للهجرة » فكان يحسن به ان يذكر لنا ذلك ، وان كان يجهله ، فكان يجدر به ان يطالع معجم المطبوعات ليوسف اليان سركيس فقد نوه به في ص ١٧٦٠ من تأليفه هذا النفيس ·

نقل حضرته في ص ٦٠ من هذه السنة من المجلة انه يقال للاتون بالفارسية (كلخن) وهو للحمام ويستعار لما يطبخ فيه الآجر ويقال له بالفارسية (توتق) و (راشون) · قلنا وفي المطبوع : (داشوزن) بدال في الأول وهو الصواب · وقول المطرزي : « والجمع اتاتين باجماع العرب · عن الفراء » يحتاج الى تحقيق اذ المشهور ان اتون المخفف يجمع على اتن كعنق · واما اتون كسفود المشدد فيجمع على اتاتين

فكان يحسن بالأستاذ المعلوف ان يلقي نظرة على كلام اللغويين (راجع التاج لتقع على الحقيقة في هذه المادة)

وذكر لنا أن الإزار ضرب من أجود التمر ، ونحن نعلم أن الذى هو ضرب من أجود التمر هو (الأزاذ) كسحاب . — فالظاهر ان الأصل كان هكذا : (الازاذ) : (بالذال المعجمة في الآخر : ضرب من أجود التمر . و (الإزار)، (ككتاب) : الملحفة . فحذف كلة ، فاضطرب عليه الأمر ، وفشت عليه الضيعة .

وقد ذكر رؤوس مواد ولم يذكر ماتقدمها من الكلام فجاء مبتوراً ، ولا يتسق الا بشق الأنفس ومنه ماذكره في أغلب المواد التي أشار اليها اشارةً خفيفةً كإطار وأوى الى غيرهما كضبَّ والطحانة والفالج الخ .

واما (الزُط) فهم غير النوَر أو الغجر فأولئك جيل من الناس كانوا في الهند وأصل اللفظة(جت) كما قال حضرته لكن الجيل الواحد غير الجيل الآخر .

واغرب ما جاء في مقالهِ هو ما يأتي (في ص ٦١)« الشمراخ هو في عدة السنة الشمسية ... » وليس هذا من كلام النور ، ولا من لغة اهل واقواق ، ولا من لغة ملفقي لفظ (الخنفشار)؛ انما المطرزي ذكر في مادة (ش م ر خ) : الشمراخ ثم قال : « في عث » اي اطلب شرح الشمراخ في مادة (ع ث) فقرأ قول المؤلف « في عث » : « هو في عدة السنة الشمسية » وهذا من أغرب القراءات واجرأها . ثم جاءت بعد ذلك مادة (ش م س) .

وقال في تلك الصفحة اي ٦١ : « على رأي بطلميوس » ثم قال في الحاشية : « هكذا وردت بتقديم الميم على الياء وهو الصواب »

فنقول له : ان الوارد في المطبوع هو (بطليموس) اي بتقديم الياء المثناة التحتية على الميم تقديمًا صريحًا ، وكتاب العرب اختلفوا في هذا الاسم ولكل من هاتين اللغتين علماء لغويون مشهورون . ويجوز لكل كاتب ان يتبع الرأي الذي يودّهُ وليس هناك تفضيل رأي على رأي .

ثم ان هناك فرقًا بين ما نقله الاستاذ المعلوف وبين ما هو مطبوع في الهند في

نص عبارة السنة الشمسية وعبارة السنة القمرية . فليراجع هذا النص المطبوع .

ونزيد على ما تقدم : أن القارئ يرى اختلافات أُخر في ما كل ما نقله الأستاذ المعلوف عما هو مطبوع وفي كل مادة من المواد . فليراجع المطبوع فيها كلها

وذكر حضرته في ص ٦٢ : (عن أبي دريد) والمشهور (ابن دريد)

وقال في تلك الصفحة : « ومنه الحديث » (بالحديد يفلح) والصواب : « ومنه : « الحديد بالحديد يفلح » وليس هنا حديث نبوي [1] وقال في ص ٦٣ : « قمع السرة مايلتزق بها حول علاقتها . » والصواب « قمع البسرة : ما يلتزق بها ... والفرق بين السرة والبسرة كالفرق بين البعرة والبقرة . وقال في تلك الصفحة :

« القنب . قال الكرخي في القنب : إنه لحاء خشب ... » والصواب : « قنب » [كذا يجب ان يقال للمادة بدون ادخال ال كما يفعل حضرته] : الكرخي (وليس هناك « قال » . اذ هذا من مصطلحاتهم لأنهم اذا قالوا الكرخي ، فمعناه : قال الكرخي ، بدون ذكر (قال) : لا شيء في القنب لأنه لحاء شجر [لا لحاء خشب كما قال حضرته]

ولا أريد أن امعن في هذه المقابلات ، فأجتزئ بهذا القدر الوشل ، ومن شاء الاطالة فعليه بمراجعة النسخة المطبوعة والله المسهل .

الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) جاء في التاج في مادة (ح د د) : « والفلح الشق والقطع . قال الشاعر :

قد علمت خيلك أني الصحصح ان الحديد بالحديد يفلح

أي يشق ويقطع . واورد الازهري هذا البيت شاهداً مع فلحتُ الحديد : اذا قطعته » انتهى

نظرة في النظرات اللغوية

كنت وما زلت من المعجبين بسعة علم العلامة الاب انستاس الكرملي وما يبذله من جهود في التمحيص اللغوي واجدني ولوعاً بمطالعة مباحثه القيمة ذات الفوائد الجليلة

وأنا جد مسرور بما كتبه في نظراته اللغوية في مجلة المجمع العلمي العربي (١٦:٥٣٨) ولا سيما كلماته على ما كنت كتبته في المجلة نفسها (١٦ : ١٧) تحت عنوان اسماء منتخبة لمسميات جديدة

ورأيت الآن ان اوضح رأيي في اختياري هاتيك الاسماء التي خصها ببعض بحثه هذا

القنع والقناع

صدرت بحثي في هاتين الكلمتين « بالقنع » وفي ذلك ما يشعر بتفضيلي له على القناع ولكني تركت الترجيح بين الكلمتين للمجمع فذكرتهما في الشرح معاً ورأى المجمع الاكتفاء بالقنع وترك القناع لما تقنع به المرأة رأسها وانا موافق على ذلك تمام الموافقة والسيد الكرملي موافق أيضاً لقوله وقد استحسنا ماذهب اليه المجمع٠٠٠

وأما الذي عرفه الأب العلامة من لفظ الحديث « أتي بقناع جرو » انه بالواو فهو الذي عرفته أنا أيضاً وهو الذي كتبته بل يعرفه كل من يأخذ الحديث عن النهاية من مادة (ج ر و) وربما كان رسم الواو وقع مني شبيهاً برسم الدال (وليس ذلك بغريب) فاشتبه على مرتب الحروف والاً فكيف آخذ الكلمة من مادة ج ر و واجمعها على أجرٍ ثم ارسمها بعد ذلك بالدال ؟ قد اشتبه هذا على مرتب الحروف كما اشتبهت عليه كلمة استهجان وهو استفعال من الهجنة « بالتهجان » اي اشتبهت السين اللام (وكأنها اقيم رأسها في الرسم) وكان صواب العبارة هكذا « من استهجان كاد يكون عاماً » على أن ذكر جملة كاد بعدها يدل على أن الموصوف بالجملة نكرة ولو حمل ذلك على الغلط في الطبع او في النسخ لكان أولى بحسن الظن ٠ ولا تزال الى جنب هذه الغلطات غيرها جاءت من الطبع ولا تخفى على المتأمل

ففي ص ١٧ س ٤ غلطة وفي س ٥ منها غلطة وفي س ١٠ منها غلطة وفي ص ١٩ ص (٨) غلطتان وهكذا يمكن استخراج الغلط المطبعي من جلّ مايطبع

السفن

لم يكن في صدر الناقد الكبير حاجة الى وضع هذه الكلمة لما يعرفه العرب والعراقيون بكاغد السنبادج كما قال وقال انه ذكر هذه الكلمة الأخيرة القاموس وتاج العروس والظاهر أن المشار اليه بهذه هي الكلمة التي يعرفها العرب والعراقيون

أما المعروف بالسنباذج في بلاد الشام فهو غير ورق البرداخ لأن السنباذج يجلى به الحديد والجواهر وورق البرداخ يسفن به الخشب ونحوه ويصقل وعبارة القاموس والتاج تدل على أن السنبادج حجر يجلى به الحديد وهذا نصها (السنبادَجُ بالضم) فسكون النون وفتح الذال المعجمة (حجر يجلو به الصيقل السيوف وتجلى به الاسنان) والجواهر (انتهى) وجاء في لسان العرب في معنى السفن ما نصه « وقال ابو حنيفة السفن جلد ضبّ او جلد سمكة يُسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السفن جلد السمك الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف » هذا هو وصف السفن في كتب الائمة واذا أردنا ان نصف ورق البرداخ او ورق الزجاج بما هو به فنقول هو ورق خشن بما يلصق عليه من فتات الزجاج ونحوه تحك به السهام والقدحان حتى تذهب عنها آثار المبراة او حتى تملاسّ فهل بعد هذا من مانع يمنع من اطلاق السفن على ورق البرداخ او ورق الزجاج او ورق السنباذج ما دام الوصف فيهما متحداً والتحلية واحدة

وانما السفن لفظة عربية خالصة خفيفة على اللسان وعلى السمع ولا ريب اننا اذا قلنا سفن العودَ كان احسن من قولنا بردخه الثقيلة الدخيلة ومن ان نشتق فعلاً من السنبادج فنقول سنبجه او سنبذه واختصر من ان نقول جلاه او صقله بورق الزجاج او البرداخ او السنباذج ، وما أشبه الاسباب التي جعلتني اختار السفن على ما يعرفه العراقيون بكاغد السنباذج والشاميون بورق البرداخ بالأسباب التي جعلت مجمع اللغة العربية الملكي يختار كلمة الهُدام على « دُوار البحر فقد جاء في تعليل ذلك بقوله .

« وتفضيلنا هذا اللفظ (الهُدام) يرجع إلى سببين الاول أنه لفظ مفرد غير مركب كدوار

البحر والثاني انه يمكن ان يؤخذ منه فعل على خلاف « دوار البحر » فيقال ُهدِم الرجل ، (مجلة مجمع اللغة العربية ٢ : ١٣٠)

وكونها مستعملة في العراق بهذا اللفظ المركب ومستعملة في الشام بلفظ مركب آخر لا يحول دون اختيار لفظة مفردة هي أخف والطف معروفة الاستعمال في الفصحى كما لم يَحلْ تعارف استعمال دوار البحر في البلاد العربية اليوم دون ان يضع لها اكبر مجامع اللغة العربية وأجلها « لفظة الهدام »

الحسك

رأيت زميلي لا يوافق على تخصيص الحسك في السلك الشائك فيقع حينئذ في التاريخ وكتب اللغة خبط وخلط لأن الواحد منهما غير الآخر ، أما في اللغة فان الحسك هو حسك السعدان ونحوه واستعير لما يعمل من الحديد على مثاله فيلقى حول العسكر هكذا قالت الائمة وانما كانت الاستعارة لانه على مثاله واما كونه يلقى حول العسكر في الحرب فهو بيان للغاية وهو خارج عن ماهيته ومفهومه فهو اذا حسك سواء فيه أُلقي منثوراً او نظم في سلك · والاستعارة على وجهها الصحيح فيهما لكن الحسك المنثور لم يبق له استعمال في حروب هذه الايام لقلة غنائه وان كان فهو من الندور بحيث لا يؤبه له واما الحسك المنظوم فهو اليوم كثير الاستعمال جداً في الحروب وغيرها وان هذا الفرق كاف في عدم حصول الخلط والاشتباه

ثم ان الحسك قد يتخذ من خشب فينصب حول العسكر كما جاء في لسان العرب وغيره ومع هذا فهو حسك غير منثور ولم يحصل في كونه من معاني هذا الحسك خبط ولا خلط افلا يكون السلك الشائك من هذا القبيل

ثم ان الحسك لفظ مفرد غير مركب وهو مفضل على السلك الشائك المركب اللفظ وتلك طريقة مجمع اللغة العربية الملكي العملية (مجلته ٢ : ١٣٠)

الجناح

فسر الائمة الجناح بالناحية كما في مفردات الراغب وغيرها وفسروه بالجانب كما

في التاج وغيره . فالناحية اذاً من معانيه الصحيحة التي قال بها النحارير وان الجزء المستقل من الطبقة هو ناحية منها بلا ريب وهو معروف في الديار الشامية باسم الجناح فاطلاقه على الجزء من الطبقة صحيح جارٍ على المنهج اللغوي ولا نحتاج في هذا الاطلاق أن نجرد شيئًا من معنى الجناح لنصحح هذا الاطلاق

لكن الشقة التي وضعها مجمع مصر لهذا الجزء المستقل من الطبقة قد احتاج المجمع لان يجردها من بعض معناها كما جاء في مجلته ٢ : ٦٤ واذا كان اسم الشقة يعضده اصطلاح علماء مصر وأدبائها ولغوييها عليها فاسم الجناح يعضده اصطلاح علماء الشام وأدبائها وعامة أهلها عليه لهذا تراني جنحت الى تفضيل الجناح على الشقة ولا تثريب علي في ذلك ولست إخال ان اعتراضي هذا يعدُّ تطاولا وجرأة مني على المجمع العظيم الذي يضم اليه جهابذة اللغة . لأنه نفسه أباح الانتقاد والاعتراض عندما وضع هذه المسميات وذلك بالقرار (٧) من محضر الجلسة ٣٠ كما في مجلته ٢ :٣٥ وأنا كنت يومئذ قدمت اليه نظرتي هذه في هذا الوضع قبل تمام السنة المضروبة مدة للاعتراض نعم ان اصطلاح المصريين على الشقة يجعل لها قيمة ولكن ذلك لا يمنع ان يبحث باحث فيجد كلمة احسن منها قد اصطلح عليها علماء قطر عربي آخر وادباؤه فيعرضها على علماء اللغة وفي جملتهم مجامع اللغة التي اليها المرجع في ذلك

الحيفة والطريدة

ان صحة اشتقاق البرّاءة للبرّاية لا اعتراض عليه البتة وانا انما اخترت او فضلت (بعبارة أخرى) الحيفة على البرّاءة لأنها أخف لفظاً وابعد عن الاشتباه بالمبراة التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي لاداة بري الاقلام المعروفة بالمطوه . والحيفة أيضاً لفظ عربي من مادة عربية خالصة وقد استعملت عندهم لما يشبه هذا المعنى (الحديث) ولهذا قلت عند اختياري لها فلندع المبراة لما وضعها له مجمع مصر ولنطلق الحيفة على المعنى الثاني تقليلاً للاشتراك ودفعاً للاشتباه (مجلة المجمع العلمي ١٦ : ٢١)

وأما الخراطة والطريدة فالامر فيهما سهل وكما يعضد الخراطة كثرة الاستعمال وشيوعها . يعضد الطريدة اصلها العربي وانها أخف وأعذب .

الدسكرة

أرى ان الحق مع رصيفي العظيم وانها العزبة المعروفة بمصر ولهذا نزلت على تحقيقه مسلماً به وأقول ما قاله احد الحكماء اني لأستحي من الحق اذا رأيته ان لا أتبعه وأشكر للاب العلامة افادته

الطزَر والطِرْز

خلاصة ماذهب اليه الاب المفضال ان الطزَر منقول عن الفارسية وهو فيها طزَر بتقديم الزاي على الراء وان الطرْز بمعنى البيت الصيفي الذي ذكره بعض العرب مصحف الطزَر او تزر الفارسية ليس الاّ ويسألني في أي كتاب لغة فارسية وجدت الطرْز بمعنى البيت الصيفي فأجيب سؤاله اولاً بأنني لاأعرف الفارسية وإنما رأيت الأزهري يقول فيه «أراه معرباً وأصله تِرز (لسان العرب مادة ط ر ز) فاتبعته في ذلك ثقة مني به وهو من هو بين أئمة اللغة صاحب تهذيب اللغة الذي هو أحد موارد لسان العرب .

ثم أقول ثانياً ان ماذهب اليه الاستاذ هو مبني على تحقيق جيد لكني لاأرى نفسي مطمئنة منه الى ان الطرْز بمعنى البيت الصيفي غير مستعمل في العربية وان الذي ذكروه من الائمة النحارير قد تصحف عليهم وانما ذكره صاحب لسان العرب المتوفى ٧١١ هـ وابومنصور الأزهري صاحب تهذيب للغة المتوفى ٣٧٠هـ وابو الحسن ابن شيده المرمي المتوفى ٤٥٨ هـ وصاحب تاج العروس السيد المرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥هـ

وقد ذكره ابن منظور في باب الزاي فصل الطاء وذكره صاحب التاج في مستدرك طرز في الباب نفسه مما لم يدع مجالاً بانه عندهما أيضاً بتقديم الراء على الزاي فظهر من هذا كله ان الطزَر والطرز كليهما يطلق على البيت الصيفي ففضلت حينئذ الطرْز على الطزَر لأنها اعذب واخف وبعيدة عن الاستهجان ثم إن كون الطزَر فارسية الأصل وان الطرْز لا وجود له بهذا المعنى في المعجمات الفارسية لايتنافى مع استعمال العرب له لأنهم رأوه اخف فصاروا اليه والتعريب لا يحول دون تغيير

حركةٍ او حرف او قلبٍ او تحريف فقد قالوا ان السدير معرب سه‌دل وساباط معرب بلاس اباد والزرمقانة معرب اشتربانه كما في القاموس ورسالة المعربات لابن كمال باشا وعربو الصقر من چرغ على ما جاء في رسالة المعربات المذكورة وانا نجد كثيراً من الاسماء والافعال تنقلب حروفها ويبقى المعنى كما هو كما في الجذب والجبذ والوافه والواهف نعم ان الطرْز مع صحة اطلاقها على البيت الصيفي تبعاً لهؤلاء الأئمة الجهابذة النحارير هي أخف من الطرَز لان المحرك الوسط اثقل من ساكنه والانتقال من الزاي الى الراء اثقل من الانتقال من الراء الى الزاي

ثم اقول أليس الجنوح الى هذا الرأي وقد قدمت حجتي فيه اهون خطباً واقرب لاجلال قدماء الأئمة ونحارير اللغة الذين طووا اعمارهم في تهذيب اللغة وتدوينها من ان نذهب الى انه تصحف عليهم جميعاً او تبع بعضهم بعضاً فيه دون انتباه الى انه مصحف

وهل انا في ذا يالهمدان ظالم

احمد رضا

في كتاب الامتاع والمؤانسة

١ — في ص ١٩٥ من كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) هذا النص :

« واذا القوا شبكة ليصطادوا فوقع فيها الزامور خلوه حياً وأخذوه وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء » وعلق الناشران وعلى هذه الجملة قولها :

«وعبارة الأصل : « وأخذوا اصناف السمك » وقوله : « وأخذوا » واقعة في غير موقعها ، وقد أثبتناها في الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك . » اه

والواقع أن الأصل هو المستقيم ، وبتغيير الناشرين اضطرب الكلام وفسد والصواب أن يقال : « خلوه حياً وأعتقوه لكرامته ، وأخذوا اصناف السمك .. » وينضح ذلك بكلام منقول عن التوحيدي نفسه في الموضوع عينه يدعم ماذهبنا اليه ويشرحه ويثبت أنه الوجه لا وجه غيره :

جاء في (حياة الحيوان للدميري ٢ : ٤ طبعة البابي الحلبي سنة ١٣١٩ ه) مانصه : (الزامور) قال التوحيدي : انه هو حوت صغير الجسم ألوف لأصوات الناس ،

مستأنس باستماعها ولذلك يصحب السفن متلذذاً بأصوات أهلها . واذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها و كسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ولا يزال يزمر فيه حتى يفر الحوت الى الساحل يطلب جرفاً أو صخرة ، فإذا اصاب ذلك فلا يزال يضرب به رأسه حتى يموت . وركاب السفن يحبونه ويطعمونه ويتفقدونه ليدوم إلفه لهم وصحبته لسفنهم ليسلموا من ضرر السمك العادي . وإذا ألقوا شباك الصيد فوقع الزامور فيها أطلقوه لكرامته . » اه وهذا نص قاطع صريح .

٢ — زاد ناشرا الكتاب كلمة (لما) في موضعين ظننا سقوطها منها ، وهما :

١ — ص ٢٠٠ « ليس يخفى أن جسدنا ليس مدفوعاً دفعاً ولا مجروراً جراً و [لما] كان كل مدفوع أو مجرور متحركاً لا محالة من داخل ، فالجسد إذن متحرك من داخل اضطراراً . »

وعلق الناشران بقولها : هذه الكلمة [لما] ساقطة من الأصل .

٢ — ص ٢٠١ « وقد استبان أن النفس هي المحيية المحركة للجسد الذي هو الجوهر ، و [لما] كان كل محي محرك للجوهر جوهراً فالنفس اذاً جوهر » اه

والذي ارى ان الأصل في الموضعين اجود ، والكلام بحذف [لما] منهما يستقيم ويخلو من الركاكة . و [لما] هذه لا تصلح للتعليل على رغم شيوعها في عبارات الصحف والمحامين ، وإنما تقع ظرفاً أو حرفاً لغير التعليل . واستعمالها للتعليل خطأ حادث مهما تقدم به الزمان لا يتطاول الى القرن الرابع عصر التوحيدي مؤلف كتاب (الإمتاع والمؤانسة .)

ولعل من المفيد أن يطرفنا باحث في أول شيوع هذا الخطأ في عصرنا او العصر الذي قبله ، وفي أول النصوص التي حملت هذه الركاكة ونحوها مما يتطرق الى عبارات بعض العلماء وأهل الأدب .

استدراك

أشير هنا مستدركاً سهواً وقع في سطر ٧ ص ٣٧٥ من مجلة المجمع (السنة ١٦) : إلى أن كلمة (شعوذة) صحيحة فصيحة مثل شعبذة .

سعيد الافغاني

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد السابع عشر

الصفحة		
٩٧	الشاميون والتاريخ	للأستاذ محمد كردعلي ...
١٠٦	الأوهام العائرة	للأب انستاس ماري الكرملي
١١٤	بقايا الفصاح	للأستاذ شفيق جبري ..
١١٧	الطرماح بن حكيم الطائي	« خليل مردم بك ..
١٢٨	صفحات مطوية	« عبدالله مخلص ...
١٣٢	افتراء ابن بطوطة على ابن تيمية	« محمد راغب الطباخ
١٣٥	عشائر الشام	« وصفي زكريا ...
١٤٢	طاغور شاعر الهند	« مير بصري ...
١٤٧	جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي	بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم الأستاذ د . س . مرجليوث

مخطوطات ومطبوعات

١٦٠	جواهر البيروني «الجماهر في معرفة الجواهر» ..	للأستاذ محمد كردعلي
١٦٣	علم الأمراض الباطنة في سبعة اجزاء ...	للدكتور أسعد الحكيم
١٦٧	منشورات المجمع العلمي المصري	للأمير مصطفى الشهابي
١٦٩	النقود العربية وعلم النميات	« جعفر الحسني ...
١٧٢	المدرسة النظامية وتاريخها	للأستاذ محمد المبارك
١٧٥	طرائف الامس غرائب اليوم	...
١٧٦	مخطوطات من محسنين دمشقيين	...

آراء وأنباء

١٨١	ذكرى جيب	للأستاذ محمد كردعلي ...
١٨٢	المغرب في ترتيب المعرب	للأب انستاس ماري الكرملي
١٨٥	نظرة في النظرات اللغوية	للأستاذ احمد رضا ...
١٩٠	في كتاب الإمتاع والمؤانسة	« سعيد الأفغاني . .